التعريف بعلم البلاغة

تعددت تعاريف البلاغة، واختلفت من عصر لآخر، ومن باحث لآخر، ومن بين هذه التعاريف:

أولاً: عرَّف الرماني البلاغة بأنها: ((إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ)).

ثانياً: عرَّفها القزويني بأنها: ((مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته)).

ثالثاً: عرَّفها السكاكي بأنها: ((بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها)).

رابعاً: عرَّف أمين الخولي (وهو من المعاصرين) علم البلاغة بأنه: ((البحث عن فَنِّـية القول)) وذكر أن الفن هو التعبير عن الإحساس بالجمال، والأدب هو القول المعبر عن الإحساس بالجمال، فالبلاغة هي البحث عن كيفية تعبير القول عن هذا الإحساس.

خامساً: عرَّف أحد الباحثين المعاصرين علم البلاغة بأنه: ((العلم أو الفنُّ الذي يعلمنا كيف ننشئ الكلام الجميل المؤثر في النفوس، أو يعلمنا كيف ننشئ القول الأجمل)) وبين أن البلاغة تتكفل بتقديم القوانين العامة التي تسيطر على الاتصال اللغوي، وهي التي توضح الطرق والأساليب التي يستطيع بها الأديب أن ينقل عن طريق الكلمات والجمل أفكاره وآراءه إلى القارئ على أحسن وجه ممكن، والبلاغة هي التي تقدم لنا جملة من القواعد التي ينبغي أن تراعى في نظم الكلام الذي يأخذ بالنفوس وتسهل عملية الاتصال اللغوي في صور من التعبير الفصيح.

أقسام علم البلاغة:

علم البلاغة ينقسم على ثلاثة أفرع، هي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع. ولكل من هذه الفروع أو الأقسام فروع متعددة. وفيما يأتي بيان مختصر لأقسام البلاغة الثلاثة:

أولاً: علم المعاني: هو علم يبحث في كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال. ويبحث في هذا القسم الإنشاء والخبر، والإسناد، والإيجاز والإطناب والمساواة، والفصل والوصل، والتقديم والتأخير، والتوكيد وتركه... وغير ذلك من المباحث.

ثانياً: علم البيان: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان. ويبحث في هذا العلم التشبيه، والحقيقة والمجاز، والاستعارة، والكناية.

ثالثاً: علم البديع: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته. ويبحث في هذا القسم المحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية، كالسجع والطباق والجناس وغيرها.

تاريخ علم البلاغة:

عرف العربُ في الجاهليةِ البلاغةَ، وكانوا يتذوقون أساليب الكلام بسليقتهم وفطرتهم بعيدة عن التقعيد والتعقيد، فكانوا يميزون بين جيد الكلام ورديئه، ويدركون تفاوت الكلام في الحسن. وقد كان الكلام صناعتهم، وفصاحة شعرائهم محط فخرهم.

وكان النابغة الذبيان تضرب له قبة في سوق عكاظ في العصر الجاهلي ليجلس تحتها ويأتي إليه الشعراء يعرض كل منهم شعره عليه لينقده ويبين حسنه ورديئه.

من هنا كانت المعجزة التي آتاها الله تعالى لخاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم معجزة لغوية تتمثل بالقرآن الكريم؛ مشياً على سنة الله في أنبيائه أن يؤتيهم معجزات دالة على صدق رسالتهم، هذه المعجزات تكون من جنس ما برع به أقوامهم.

وقد اعتنى المسلمون بلغة القرآن، وكان من مظاهر هذه العناية أن ظهرت علوم متنوعة تتعلق بهذه اللغة، ومن هذه العلوم علم البلاغة، ويذكر الباحثون أن أول من تناول علوم البلاغة بالبحث الجاحظ (توفي ٢٢٥هـ) في كتابه ((البيان والتبيين))، لكن تناوله له لم يكن مُقَعَّداً، كما إنه لم يتناول جميع مسائل هذا العلم.

ثم جاء بعد الجاحظ: عبدالله بن المعتز (توفي ٢٩٦هـ) وألف كتابه (البديع)، وجعل للبديع خمسة أنواع، هي: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد الأعجاز على ما تقدمها، والمذهب الكلامي. وبين محاسن الكلام وأنواعها.

ثم تتابع العلماء بعد ذلك في التأليف في هذا العلم، وظهرت كتب إعجاز القرآن التي تناول فيها مؤلفوها بعض مباحث علم البلاغة، منهم الرُّمَّاني (توفي ٣٨٦هـ) الذي ألف كتاب ((النكت في إعجاز القرآن)، وتكلم في هذا الكتاب على كثير من المباحث البلاغية. ومن هؤلاء أبو بكر الباقلاني (توفي ٤٠٣هـ) الذي ألف (إعجاز القرآن)، تحدث في عن البديع لبحث إمكانية تعليل إعجاز القرآن وبيان وجهه، وتكلم على كثير من المباحث البلاغية، وقارن بين أساليب القرآن وأساليب بلغاء العرب وبين وجه تميز أسلوب القرآن عليها.

ثم كثرت مؤلفات علماء اللغة والأدب في التأليف في هذا الموضوع، ومن أبرزهم ابن سنان الخفاجي (توفي ٤٦٦هـ) الذي ألف كتاب (سر الفصاحة)، وقد فصل فيه الحديث عن الفصاحة، وبين الفرق بينها وبين البلاغة، وذكر أوصاف الفصاحة والبلاغة.

ثم جاء عبدالقاهر الجرجاني (توفي ٤٧١هـ) الذي انتقل بعلم البلاغة نقلة كبيرة، ووضع نظريتي علم المعاني وعلم البيان بشكل منظم ووافٍ، ولم يطرح هذان العِلْمان على شكل نظرية محددة الجوانب إلا على

يديه، وقد عرض علم المعاني في كتابه (دلائل الإعجاز) وعلم البيان في كتابه (أسرار البلاغة)، وبين في كتابيه أن وجه إعجاز القرآن الكريم هو نظمه، فخرج بنظرية عُرفت فيما بعد بنظرية النظم. وخلاصة هذه النظرية أن إعجاز القرآن يكمن في لغته، وإعجاز لغته يكمن في نَظْمه، ومعنى النظم طريقة ترتيب الكلمات في الجمل والربط بينها، فمثلاً في قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿واشتعلَ الرأسُ شيباً﴾ [سورة مريم: ٤] فيه استعارة وهي أنه شُبِّهَ الشيب بالوقود ثم حذف المشبه به (وهو الوقود)، وأُقيم المشبه (وهو الرأس) مقامه، لكن جمال هذه الجملة لا يكمن في هذه الاستعارة، وإنما يكمن في ترتيب الكلمات في هذه الجملة، فكان يمكن أن يقال: ((واشتعل شيبُ الرأس))، لكن النظم القرآني أسند الاشتعال إلى الرأس، وجعل الشيب تمييزاً. هذا النظم جعل هذه الجملة تؤدي معنى لا يؤديه التركيب الآخر (واشتعل شيب الرأس)، فقوله تعالى ﴿واشتعلَ الرأسُ شيباً﴾ دل على انتشار الشيب في جميع الرأس زيادة على سرعة هذا الانتشار الذي دل عليه الفعل (اشتعل). وقد عدَّ كثير العلماء الشيخ عبدالقاهر الجرجاني أول من صاغ مباحث البلاغة بحيث جعلها فناً له قواعده ومبادئه.

ثم جاء الزمخشري وطبق نظرية النظم في تفسيره ((الكشاف)) وفـرَّق بين علمي البيان والمعاني، ويعد هو أول بلاغي فرق بين هذه العلمين.

ثم جاء السكاكي (توفي ٦٢٦هـ) الذي ألف كتاب (مفتاح العلوم)، ورتب مباحث علم البلاغة وبوبها حتى عده بعض الباحث مؤسس علم البلاغة، وهذا غير صحيح كما يظهر مما تقدم بيانه. بعد ذلك كثر المؤلفون في علم البلاغة، وهكذا ظهر علم البلاغة وتميزت مباحثه وظهرت شخصيته علماً متكاملاً له موضوع ومباحث تميزه عن غيره من العلوم على الشكل الذي نراه اليوم.

أهداف علم البلاغة:

تناول العرب البلاغة بالبحث والدراسة لسببين:

السبب الأول: سبب فنِّي: إذ وُضعت علم البلاغة لتمييز جيد الكلام من رديئه، وإظهار مواطن الجمال في الأدب، ففي بادئ الأمر كانت البلاغة لإرشاد وتعليم الذين يريدون الإصابة في القول، ولوضع منهج للخطباء ورجال الفرق المذهبية ودعاة المذاهب السياسية وغيرهم من الذين يتصدرون للكلام أما عامة الناس.

السبب الثاني: سبب ديني: فبعد نزول القرآن الكريم ببلاغته التي بهرت العقول بدأ العرب بدراسة هذه البلاغة ليبرهنوا على إعجاز القرآن الكريم وليستوضحوا أحكامه ويتفهموا معانيه.

الفصاحة والبلاغة

الفصاحة:

تعريف الفصاحة في اللغة: الفصاحة لغةً هي الظهور والبيان، يقال: ((أفصح الصبح)) إذا ظهر وبان. ويقال: ((أفصح الصبيُّ)) إذا بان وظهر كلامه.

تعريف الفصاحة في الاصطلاح: تقع الفصاحة وصفاً للكلمة والكلام والمتكلم، وفيما يأتي بيان ذلك:

أولاً: فصاحة الكلمة: هي سلامة الكلمة من تنافر الحروف ومخالفة القياس والغرابة[1]. فهذه العيوب إذا وُجدت في الكلمة كانت معيبةً ليست فصيحة. وفيما يأتي بيان هذه العيوب:

١. **تنافر الحروف**: هو وصف في الكلمة يؤدي إلى ثقلها على اللسان وعسر النطق بها، مثل ((الهعخع)) وهو نبات ترعاه الإبل، و((الظش)) وهو المكان الخشن، و((المستشزر)) للشيء المفتول.
٢. **مخالفة القياس**: هو مخالفة الكلمة لقواعد علم الصرف، مثل جمع كلمة ((بوق)) على ((بوقات)) في قول المتنبي:

فإنْ يَكُ بعضُ الناسِ سيفاً لدولةٍ ففي الناسِ بوقاتٌ لها وطبولُ

فكلمة ((بوقات)) ليست فصيحةً؛ لأن بوق يُجمع على ((أبواق)) و((بوائق)).
ومثل كلمة ((مَوْدَدة)) والصحيح ((مَوَدَّة)).
٣. **غرابة الكلمة**: وهي أن تكون الكلمة غير ظاهرة المعنى بسبب عدم تداولها بين فصحاء العرب وأدبائهم، مثل كلمة ((اطلخمَّ)) بمعنى انصرف، و((افْرَنْقِعْ)) بمعنى انْصَرِفْ. فعدم تداول الكلمة بين فصحاء العرب وأدبائهم دليل على عدم استحسانهم لها، لذلك لم تكن فصيحة.

ثانياً: فصاحة الكلام: وهي سلامته من تنافر كلماته مجتمعةً ومن ضعف التأليف ومن التعقيد مع فصاحة كلماته[2]، فأي كلام وُجدت فيه هذه العيوب أو أحدها كان كلاماً غير فصيح، وفيما يأتي بيان هذه العيوب:

---

١ فشروط فصاحة الكلمة ثلاثة، هي: سلامتها من تنافر الحروف، وسلامتها من مخالفة القياس، وسلامتها من الغرابة.

٢ فشروط فصاحة الكلام أربعة، هي: فصاحة كلماته، وسلامته من تنافر كلماته مجتمعةً، وسلامته من ضعف التأليف، وسلامته من التعقيد.

١. **تنافر الكلمات**: قد تكون الكلمات كل واحدة منها سالمةً من تنافر الحروف، ولكن عند اجتماعها يظهر التنافر بينها فيؤدي ذلك إلى ثقل نطق هذه الكلمات مجتمعةً على اللسان. كقول الشاعر:

..... وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

فنلاحظ أن هذه الكلمات سهلة اللفظ على اللسان وليس بين حروفها تنافر، ولكن عندما اجتمعت في هذا الشطر ظهر التنافر بينها لتقارب حروفها وتكررها.

٢. **ضعف التأليف**: وهو أن يكون الكلام مخالفاً لقواعد النحو المشهورة، ومن ذلك قول الشاعر:

جزى بنوه أبا الغَيْلانِ عن كِبَرٍ .....

فهذا الشطر غير فصيح؛ لأن الضمير الهاء في قوله (بنوه) يعود إلى قوله (أبا الغيلان)، وفي هذا مخالفة لقاعدة نحوية مشهورة وهي أنه لا يجوز أن يعود الضمير إلى متأخر لفظاً ورتبةً، ففي هذا الشطر عاد الضمير (الهاء) إلى (أبا الغيلان) فمرجع الضمير متأخر عن الضمير لفظاً كما هو ظاهر، وهو أيضاً متأخر رتبةً؛ لأن (أبا الغيلان) مفعول به وهو متأخر رتبة عن الفاعل (بنوه). فمرجع الضمير يجب أن يكون متقدماً على الضمير لفظاً أو رتبةً، ومثال تقدم مرجع الضمير رتبةً[٣] مع تأخره لفظاً (أكرمَ غلامَهُ زيدٌ) فالضمير الهاء في [غلامه] يعود إلى [زيد]، و[زيد] وإن كان متأخر لفظاً فهو متقدم رتبةً؛ لأنه فاعل وهو متقدم رتبةً على المفعول به (غلامه).

٣. **التعقيد**: وهو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى الذي يريده المتكلم، وهو على نوعين:

أ. **التعقيد اللفظي**: وهو أن يكون سبب التعقيد هو اللفظ من تقديم أو تأخير، كقولنا: ((ما قرأ إلا واحداً محمدٌ مع كتاباً أخيه)) والمراد ((ما قرأ محمدٌ مع أخيه إلا كتاباً واحداً)).

ب. **التعقيد المعنوي**: وهو أن يكون سبب التعقيد استعمال مجازات وكنايات وتشبيهات لا يفهم المراد بها بسبب عدم ظهور العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي أو بين المشبه والمشبه به، كقول بعضهم: ((نشر الـمَلِكُ ألسنتَهُ في المدينة)) بمعنى نشر الملك جواسيسه، ففي هذه الجملة تعقيد معنوي؛ إذ لا يُفهم المراد بـ (ألسنته) لعدم ظهور العلاقة بين الألسنة والجواسيس، والصحيح أن يقال: ((نشر الملك عيونه في المدينة)) فإن تخصص الجاسوس أن ينقل ما يراه، والمعروف عند العرب أن الجاسوس يسمى عيناً ولا يسمى لساناً.

---

٣ الجملة العربية على نوعين: النوع الأول الجملة الإسمية وتتكون من المبتدأ والخبر، فالمبتدأ متقدم رتبةً على الخبر، بمعنى أن الأصل في الكلام أن يتقدم ذكر المبتدأ على ذكر الخبر. والنوع الثاني الجملة الفعلية وتتكون من الفعل والفاعل والمفعول به، والفاعل متقدم رتبة على المفعول به، بمعنى أن الأصل أن يتقدم ذكر الفاعل على ذكر المفعول به.

٤. **فصاحة الكلمات**: أي: أن تكون جميع كلمات الكلام سالمة من العيوب المتعلقة بالفصاحة، وهي سلامتها من الغرابة ومن مخالفة القياس ومن تنافر الحروف.

ثالثاً: فصاحة المتكلم: هي مَلَكة [أي: إمكانية راسخة في النفس] يستطيع بها أن يعبر عن المقصود بكلام فصيح في أي غرض كان. ويمكن اكتساب هذه الملكة بالإكثار من قراءة الكلام الفصيح [وفي مقدمته القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، وكلام العرب الفصحاء من الشعر والنثر] وبممارسة الكلام الفصيح.

البلاغة:

تعريف البلاغة في اللغة: البلاغة لغةً هي الوصول والانتهاء، يقال: ((بلغ المسافر مراده)) إذا وصل إلى المكان الذي يقصده وانتهى إليه.

تعريف البلاغة في الاصطلاح: تقع البلاغة وصفاً للكلام والمتكلم، ولا تقع وصفاً للكلمة؛ لأن الكلمة المفردة لا يمكن إبلاغ المعنى المراد بها وحدها. وفيما يأتي بيان معنى بلاغة الكلام والمتكلم:

أولاً: بلاغة الكلام: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، فلا يكون الكلام بليغاً إلا بشرطين:

١. مطابقته لمقتضى الحال: ومعنى الحال هو الأمر الذي يدفع المتكلم إلى إيراد الكلام بصورة معينة، ومقتضى الحال هو الصورة المعينة التي تم إيراد الكلام عليها، فمثلاً عندما نخاطب شخصاً بمعلومة ينكرها فإننا يجب إيراد هذه المعلومة في جملة مؤكَّدة بتأكيدين أو أكثر، فلو أن شخصاً ينكر مجيء زيد ونحن نريد أن خبره بمجيء زيد فإننا نقول له: ((والله إن زيداً جاء))، فإنكار المخاطَب لمجيء زيد يسمى حالاً، وإيراد الكلام مؤكَّداً بتأكيدين يسمى مقتضى الحال، أي: صورة الكلام التي يقتضيها ويتطلبها الحال.
٢. أن يكون فصيحاً: أي: أن يكون سالماً من تنافر كلماته ومن ضعف التأليف ومن التعقيد مع فصاحة كلماته.

ثانياً: بلاغة المتكلم: هي مَلَكة لدى المتكلم يقتدر بها على التعبير عن المقصود بكلام بليغ في أي غرض كان.

ملاحظة: يُعرف التنافر بالذوق السليم، والذوق هو قوة في النفس بها تُدرك لطائف الكلام ووجوه تحسينه. وتُعرف مخالفة الكلمة للقياس بعلم الصرف. ويُعرف ضعف التأليف والتعقيد اللفظي بعلم النحو، وتُعرف الغرابة بكثرة الاطلاع على كلام العرب، ويُعرف التعقيد المعنوي بعلم البيان إذ به يُعرف اختلاف

طرق الدلالة في الوضح، وتُعرف الأحوال ومقتضياتها بعلم المعاني. وبناءً على ما سبق يجب على طالب البلاغة معرفة اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان، مع كونه سليم الذوق كثير الاطلاع على كلام العرب.

****

علم المعاني

تعريف علم المعاني:

علم المعاني هو علم تُعْرَف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال. وفيما يأتي شرح هذا التعريف:

الحال: هو الأمر الذي يدفع المتكلم إلى إيراد الكلام بصورة معينة، و**مقتضى الحال** هو الصورة المعيَّنة التي تم إيراد الكلام عليها، فمثلاً عندما نخاطب شخصاً بمعلومة ينكرها فإننا يجب إيراد هذه المعلومة في جملة مؤكَّدة بتأكيدين أو أكثر، فلو أن شخصاً ينكر مجيء زيد ونحن نريد أن خبره بمجيء زيد فإننا نقول له: ((والله إن زيداً جاء))، فإنكار المخاطَب لمجيء زيد يسمى حالاً، وإيراد الكلام مؤكَّداً بتأكيدين يُسمى مقتضى الحال، أي: صورة الكلام التي يقتضيها ويتطلبها الحال.

أحوال اللفظ: هي صور اللفظ التي يتطلبها ويقتضيها الحال كالتأكيد والذكر والحذف والقصر والتقديم والتأخير، وغيرها.

فعلم المعاني يدرس أحوال اللفظ التي يجب أن يُورَد الكلام عليها ليوافق مقتضى الحال.

أقسام الكلام

الكلام[٤] قسمان:

القسم الأول: الخبر: وهو كلامٌ يَصِحُّ أنْ يُقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقاً للواقع كان قائله صادقاً، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذباً. فمثلاً لو قال قائل: ((جاء زيدٌ)) فهذا خبر؛

[٤] الكلام هو اللفظ المركب المفيد فائدة يمكن السكوت عليها، ويُسمى أيضاً ((الجملة)).

لأنه يصح أن يقال لقائله: إنه صادق فيه أو كاذب. فإن كان مجيء زيد حاصل فعلاً في الواقع كان الخبر صادقاً، وإن كان مجيء زيد لم يحصل في الواقع كان الخبر كاذباً.

القسم الثاني: الإنشاء: هو كلامٌ لا يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب، ومن أمثله النداء والأمر والنهي والاستفهام، فلو قال قائل: ((يا زيد)) فهذا نداء لا يصح أن يقال لقائله أنت صادق أو كاذب، وكذا الحال لو قال قائل: ((أسقِني ماءً)) فهذا أمر لا يصح أن يقال لقائله أنت صادق أو كاذب، ولو قال قائل: ((لا تُسْرِفْ في مالك)) فهذا نَهْيٌ لا يصح أن يقال لقائله أنت صادق أو كاذب، ولو قال قائل: ((هل جاء زيدٌ)) فهذا استفهام ولا يصح أن يقال لقائله أنت صادق أو كاذب. إذن جميع الجمل السابقة تُسمَّى إنشاء؛ لأنها لا يصح أن يقال لقائله: أنت صادق أو كاذب، فهو لا يريد أن يُعْلِمَنا بحصول شيء أو عدم حصوله، بل هو يطلب منها شيئاً.

أقسام الجملة العربية:

الجملة العربية على قسمين:

القسم الأول: الجملة الإسمية: وهي الجملة التي تتكون من مبتدأ وخبر، مثل: ((زيدٌ حافظٌ))، وهي تفيد الثبوت، ولكن بشرط أن لا يكون الخبر فيها فعلاً، ففي الجملة السابقة (زيدٌ حافظٌ) هذه جملة إسمية تفيد الثبوت، أي: ثبوت الحفظ لزيد. ولو قلنا: ((زيدٌ يحفظُ)) فإن هذه الجملة جملة إسمية لكنها لا تفيد الثبوت بل تفيد الحدوث كالجملة الفعلية.

القسم الثاني: الجملة الفعلية: وهي الجملة التي تتكون من فعل وفاعل، وهي تفيد الحدوث في زمن معين، كقولنا: ((يحفظ زيدٌ)) فهذه جملة فعلية تفيد حدوث الحفظ لزيد في الزمن الحاضر ، وقولنا: ((حَفِظَ زيدٌ)) جملة فعلية تفيد حدوث الحفظ لزيد في الزمن الماضي.

أركان الجملة العربية:

تتألف الجملة العربية [سواء أكانت خبراً أم إنشاءً] من ركنين، لا يمكن أن تخلو منهما جملة، هما:

الركن الأول: الـمُسْنَد إليه: ويُسمَّى المحكوم عليه، وهو ما أُثبت له شيءٌ أو نُفي عنه شيء، أو هو ما حكمنا بثبوت شيء له أو نفيه عنه، كقوله تعالى: ﴿محمدٌ رسولُ الله﴾ فـ (محمد) في هذه الآية الكريم مُسْنَد إليه؛ أي: أُثبت له حكم أو وصف وهو (رسول الله). وكقوله تعالى: ﴿وما محمدٌ أبا أحدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ فـ

(محمد) مسند إليه، أي: محكوم عليه بأنه ليس أبا أحد. وكقولنا: ((هل جاء زيدٌ)) فـ (زيدٌ) مسند إليه، أي: محكوم عليه بالسؤال عن إثبات المجيء له.

والمسند إليه يكون في الجملة الإسمية المبتدأ أو اسم كان أو اسم إنَّ... إلخ، وفي الجملة الفعلية يكون الفاعل أو نائب الفاعل. ولمواضع المسند إليه تفاصيل لا أرى ذكرها الآن.

الركن الثاني: الـمُسْنَد: ويُسمَّى المحكوم به، وهو الحُكْم الذي أُثبت للمسند إليه أو نُفي عنه. ففي قوله تعالى: ﴿محمدٌ رسولُ اللهِ﴾ (رسول الله) هو المسند، وفي قوله تعالى: ﴿وما محمدٌ أبا أحدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (أبا أحدٍ) هو المسند، وفي قولنا: ((هل جاء زيدٌ)) (جاء) هو المسند.

والمسند يكون في الجملة الإسمية الخبر أو خبر كان أو خبر إنَّ... إلخ، وفي الجملة الفعلية يكون الفعل. ولمواضع المسند تفاصيل لا أرى ذكرها الآن.

وكل ما عدا المسند والمسند إليه يُسمَّى قيداً، ما عدا المضاف إليه وصلة الموصول، فمثلاً: ((جاءَ زيدٌ)) هذه جملة فعلية المسند فيها هو الفعل (جاء) والمسند إليه هو (زيدٌ) ولم تحتوِ الجملة على أي شيء غيرهما فهي جملة مطلقة غير مقيدة بحال أو مكان أو زمان، ولكن لو قلنا: ((جاء زيدٌ ضاحكاً) أو (جاء زيدٌ إلى المدرسة)) أو (جاء زيدٌ البارحةَ) فإن (ضاحكاً) و(إلى المدرسة) و(البارحة) تُسمى قيوداً؛ لأنها قيدت إثبات المجيء لزيد إما بحال أو بزمان أو بمكان. ولو قلنا: ((ضَرَبَ زيدٌ)) فهذه جملة مكونة من مسند ومسند إليه وهي مطلقة غير مقيدة تفيد أن زيداً أحدث فعل الضرب في الماضي بدون تقييد الضرب بمفعول معين، ولكن لو قلنا: ((ضرب زيدٌ الكرةَ)) فإن (الكرة) مفعول به، وهو قيد في الجملة؛ إذ قيد الضرب بالكرة.

****

الخـــبر

الغرض من إلقاء الخبر:

الأصل أن الخبر يُلقَى لأحد غرضين؛ هما:

الغرض الأول: إفادة [أي: إعلام] المخاطَب الحُكْمَ الذي تضمنته الجملة، ويُسمَّى **فائدة الخبر**، ومعنى ذلك أنني إذا قلتُ لك مثلاً: ((نَجَحَ محمدٌ)) وأنتَ تجهل هذا الخبر، فإنني أريد إعلامَكَ بنجاح محمد، هذا هو معنى إفادة المخاطَب الحكم الذي تضمنته الجملة، وهو فائدة الخبر. وهذا الغرض حينما يكون المخاطَب يجهل الحكم الذي تضمنته الجملة.

الغرض الثاني: إفادة المخاطَب أن المتكلِّم عالم بالحُكْم، ويُسمَّى لازم الفائدة، ويكون ذلك عندما يكون المخاطَب يعلم بالخبر، فمثلاً أقول لشخص ما: ((لقد كنْتَ موجوداً)) وذلك لإعلامه أنني أعلم بوجوده، وهذا يُسمَّى **لازم فائدة الخبر**.

فإذن الغرضان الأصليان اللذان يُلقى الخبر لإفادتهما هما: فائدة الخبر، أو لازم الفائدة الخبر. وقد يُلقَى الخبر لأغراض أخرى تُفْهَم من سياق الكلام، منها:

الاسترحام، وإظهار التحسُّر، وإظهار الضعف، والفخر، والحثُّ على السعي والجِدِّ.

تمريـــــــن:

فيما يأتي أخبار، حدد المسند والمسند إليه فيها، ثم اذكر الغرض من كل منها:

١. وُلِدَ النبي محمد صلى الله عليه وسلم عامَ الفيل.
٢. كان عمر بن عبدالعزيز لا يأخذ من بيت المال شيئاً.
٣. لقد نهضْتَ من نومِكَ اليومَ مبكِّراً.
٤. أنتَ تعمل في حديقتكَ كلَّ يوم.
٥. قال يحيى البرمكي يخاطب الخليفة هارون الرشيد:

إن البرامكة الذيـ ـنَ رُمُوا لديكَ بداهِيَهْ
صُفْرُ الوجوهِ عليهمُ خِلَعُ المَذَلَّةِ بادِيَهْ

٦. قال تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: ﴿ربِّ إنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي واشْتعلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾.

٧. قال أعرابيٌّ يرثي ولدَهُ:

لـمَّا دعوتُ الصَّبْرَ بعدَكَ والأسَى أجابَ الأسَى طوعاً ولم يُجِب الصَّبْرُ

فإنْ ينقطعْ منكَ الرَّجاءُ فإنَّـــه سيبقَى عليكَ الحُزْنُ ما بَقِيَ الدَّهْـرُ

٨. إذا بَلَـغَ الفِطامُ لنا صَبِـيٌّ تَخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ ساجِـــدِينا

٩. كتب طاهر بن الحسين إلى العباس بن موسى الهادي بعد أن تأخر العباس في جباية الخَـرَاج:

وليس أخو الحاجاتِ مَنْ باتَ نائماً ولكنْ أخوها مَنْ يَبيتُ على وَجَلْ

١٠. لقد أدَّبْتَ بنيكَ باللِّين والرِّفْقِ لا بالقَسْوة والعقابِ.

١١. مَنْ أصلَحَ ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

١٢. إنَّكَ لَتَكْظِمُ الغيظَ.

١٣. فما لي حيلةٌ إلا رجائي لعفوكَ وحُسْنِ ظني

١٤. قال المتنبي وهو مريض بالحمَّى:

أقمتُ بأرضِ مِصْرَ فلا ورائي تَخُبُّ بيَ الرِّكابُ ولا أمامي

ومَلَّني الفراشُ وكان جنبـي يَمَلُّ لقاءَهُ في كلِّ عـــامِ

١٥. يفوتُ ضجيعَ التُّرَّهاتِ طِلابُهُ[٥] ويدنو إلى الحاجاتِ مَنْ باتَ ساعيا

الحـــــل:

ت	المسند إليه	المسند	الغرض من الخبر
١	النبيُّ	وُلِدَ	فائدة الخبر
٢	عمر	لا يأخذ	فائدة الخبر
٣	الضمير تاء الفاعل في (نهضتَ)	نَـهَـضَ	لازم الفائدة
٤	الضمير (أنت)	تعمل	لازم الفائدة
٥	البرامكة	صفر الوجوه/ عليهم خلع المذلة بادية	الاسترحام
٦	الضمير ياء المتكلم في (إني)	وهن العظم مني	إظهار الضعف
	الرأس	اشتعل	
٧	الضمير تاء الفاعل في (دعوتُ)	دعا	إظهار التحسُّر
	الأسى	أجاب	
	الصبر	لم يجب	
	الرجاء	ينقطع	

٥ أي: من اتكأ على الأماني الباطلة لا يدرك ما يطلبه، إنما يدرك حاجته من سعى وجد في طلبها.

	الحزن	سيبقى	
	الدهر	بقي	
٨	صبيٌّ	بلغ	الفخر
	الجبابر	تخرُّ	
٩	أخو الحاجات	مَنْ بات نائماً	الحث على الجد والسعي
	أخوها	من يبيت على وجل	
١٠	الضمير تاء الفاعل في (أدبتَ)	أدَّب	لازم الفائدة (إعلام المخاطَب أن المتكلم عالم بحاله في تهذيب بنيه)
١١	اسم الشرط (مَنْ)	أصلح	فائدة الخبر (إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام)
	اللهُ (في أصلح الله)	أصلح (الثانية)	
١٢	الضمير الكاف في (إنك)	تكظم	لازم الفائدة (إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بأخلاقه الكريمة)
١٣	حيلة	لي	الاسترحام
١٤	الضمير تاء الفاعل في (أقمتُ)	أقام	التحسر على ماضي صحته وقوته
	الركاب	تخبُّ [أي: تعدو]	
	الفراش	ملَّ	
	جنبي	يملَّ	
١٥	طِلَابُهُ [أي: ما يطلبه]	يفوتُ	الحث على السعي والجد
	الاسم الموصول (مَنْ)	يدنو	

أضرب الخبر:

للمخاطَب ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يكون خاليَ الذِّهْن من الحُكْم[٦]: في هذه الحالة يُلقَى إليه الخبر خالياً من أدوات التوكيد، ويُسمَّى هذا الضرب [أي: النوع] من الخبر بالخبر **الابتدائي**.

الحالة الثانية: أن يكون المخاطَب متردِّداً [أي: شاكًّا] في الحُكْم طالباً أن يصل إلى اليقين في معرفته: في هذه الحالة يَحْسُنُ توكيد الخبر بمؤكِّد واحد ليتمكَّن الخبر ويثبت عند المخاطَب، ويُسمى هذا الضرب من الخبر بالخبر **الطلبي**.

٦ أي: أن يكون جاهلاً بالحكم لا يملك تصوراً عنه.

الحالة الثالثة: أن يكون المخاطَب مُنكِراً للخبر: وفي هذه الحالة يجب أن يؤكَّد الخبر بمؤكِّدين اثنين أو أكثر بحسب قوة إنكاره، ويُسمَّى هذا الضرب بالخبر **الإنكاري**.

ملاحظة: لتوكيد الخبر أدوات كثيرة، منها: (إنَّ)، والقسم، ولام الابتداء[٧]، ونون التوكيد الخفيفة والثقيلة، وأحرف التنبيه[٨]، وقدْ، والأحرف الزائدة[٩]، و(أَمَّا)[١٠].

تمريـــــــن:

بين أضرب الخبر لكل، وعين أداة التوكيد إن وُجدت مما يأتي:

١. إني رأيتُ عواقب الدنيا فتركتُ ما أهوى لِـمَا أخشى
٢. قال حسان بن ثابت: وإني لَحُلْوٌ تعتريني مَرَارةٌ وإنِّي لَتَرَّاكٌ لِـمَا لم أُعوَّدِ
٣. ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ أيُّ الرِّجالِ المُهذَّبُ
٤. قال تعالى: ﴿ألَا إنَّ أولياءَ الله لا خوفٌ عليهم﴾.
٥. قال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾.

الحل:

ت	الخبر	ضرب الخبر	أداة التوكيد
١	إني رأيت	طلبي	إنَّ
	فتركتُ ما أهوى	ابتدائي	///
٢	وإني لحلو تعتريني مرارة	إنكاري	إنَّ واللام
	وإني لتَرَّاك	إنكاري	إن واللام
٣	لستُ بمستبقٍ... إلخ	طلبي	الباء الزائدة في (بمستبق)
٤	ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم	إنكاري	أداة التنبيه (ألا) وإنَّ
٥	قد أفلح المؤمنون	طلبي	قد

٧ كاللام في قوله تعالى: ﴿لَأنتم أشدُّ رَهْبةً في صُدُورِهم مِنَ الله﴾.

٨ المقصود بأحرف التنبيه الحرفان (أَلَا) و(أَمَا)، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنون﴾، ونقول: ((أمَا واللهِ لقد نجح زيد في الامتحان))، ويكثر القسم بعد (أمَا) كما في المثال.

٩ مثل حرف الجر الباء الواقع في خبر (ليس) كقولنا: ((لستُ بطامعٍ في المال)). وحرف الجر (مِنْ) في قولنا: ((ما جاءني مِنْ أحدٍ)).

١٠ هي (أمَّا) الشرطية [بفتح الهمزة]، مثل: ((أمَّا أنا فعازم على المضي في تحقيق النجاح)).

خروج الخبر عن مقتضى الظاهر:

كون ذهن المخاطَب خالياً من الخبر، أو كونه متردداً في الخبر طالباً له، أو كونه منكراً للخبر.. هذا يُسمى ظاهر الحال، ومجيء الخبر على النحو الذي سبق ذِكْره يُسمَّى موافقة الخبر لمقتضى الظاهر، فإن كان المخاطَب خالي الذهن من الخبر وألقينا له الخبر غير مؤكد، فهذا الخبر يكون موافقاً لمقتضى الظاهر... وهكذا.

ولكن قد يأتي الخبر مخالفاً للقاعدة السابقة، فقد يكون المخاطَب خالي الذهن فيُلقى إليه الخبر مؤكَّداً، أو قد يكون المخاطَب مُنْكِراً للخبر فيُلقى إليه الخبر غير مؤكَّد.. فهذا يُسمَّى خروج الخبر عن مقتضى الظاهر، أي: مخالفة الخبر لما يقتضيه ظاهر الحال. فكون المخاطَب خالي الذهن من الخبر هذا حال يقتضي أن يُلقَى الخبر غير مؤكَّد، فإذا أُلقي الخبر مؤكَّداً كان هذا خروجاً عن مقتضى الظاهر.

إذن نلخص ما سبق فيما يأتي:

أولاً: إذا أُلقي الخبر خالياً من التوكيد لخالي الذِّهن، ومؤكَّداً استحساناً للسائل المتردد، ومؤكَّداً وجوباً للمُنْكِر.. كان ذلك الخبر جارياً على مقتضى الظاهر.

ثانياً: قد يجري الخبر على خلاف ما يقتضيه الظاهر لاعتبارات يلاحظها المتكلم، ومن ذلك ما يأتي:

أ. أن يُنَـزَّل خالي الذهن منزلة السائل المتردد[11] إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر.
ب. أن يُجعَل غير الـمُنْكِر كالـمُنْكِر لظهور أَمَارات [أي: علامات] الإنكار عليه.
ت. أن يُجعَل الـمُنْكِر كغير الـمُنْكِر إن كان لديه دلائل وشواهد لو تأمَّلها لرجع عن إنكاره.

ولتوضيح حالات خروج الخبر عن مقتضى الظاهر نضرب الأمثلة الآتية:

١. قال تعالى: ﴿ولا تُـخَاطِبْني في الذين ظَلَموا **إنَّـهُمْ مُغْرَقونَ**﴾.

في هذه الآية يخاطب الله تعالى نوحاً عليه السلام، فيقول له عن عاقبة الظالمين: ((إنهم مغرقون)) فأكد له الخبر بمؤكِّد مع أن نوحاً عليه السلام كان خالي الذهن عن الحكم الخاص بالظالمين، فخرج هذا الخبر عن مقتضى الظاهر، وذلك لأنه تقدم في الكلام ما يشير إلى حصوص شيء للظالمين؛ فإن الله تعالى لما قال لنوح عليه السلام: ((ولا تخاطبني في الذين ظلموا)) أثار ذلك في نفس نوح التطلع إلى ما سيصيب الظالمين، فعُومِل معاملة السائل المتردد فأُلقي الخبر له مؤكَّداً ((إنَّهم مغرقون)).

---

١١ أي: أن يُعامَل خالي الذهن معاملة السائل المتردد.

٢. وقال تعالى حكاية عن امرأة العزيز: ﴿وما أُبَرِّئ نَفْسي **إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارةٌ بالسُّوءِ**﴾.

في هذه الآية أُكِّد الخبر ((إن النفس لأمارة بالسوء)) مع أن المخاطَب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه هذا الخبر؛ وذلك لأنه تقدم في الكلام ما يشير إلى أن النفس لها حكم، مما جعل المخاطَب يتطلع إلى معرفة هذا الحكم، فعُومل معاملة السائل الطالب للخبر فأُلقِي له الخبر مؤكَّداً.

٣. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ **إنَّكُمْ بَعْدَ ذلك لَـمَيِّتونَ**﴾.

في هذه الآية جيء بالخبر على أسلوب الخبر الإنكاري [مؤكَّداً بمؤكِّدَيْن] مع أن المخاطَبين لا ينكرون هذا الخبر، وذلك لأنهم عُومِلوا معاملة مَنْ يُنكِر الخبر؛ لظهور أَمَارات الإنكار عليهم؛ فإن غفلتهم عن الموت وعدم استعدادهم له بالعمل الصلاح من علامات الإنكار.

٤. وقال الشاعر: جاءَ شقيقٌ عارِضاً رُمْحَهُ[١٢] **إنَّ بني عَمِّكَ فيهمْ رِمَاح**

فشقيق لا ينكر أن عند بني عمه رماح، ولكن مجيئه عارضاً رمحه غير متهيئ للقتال دليلٌ على اعدم اكتراثه، فتصرفه كتصرف الذي ينكر أن هؤلاء لديهم سلاح، لذلك عومل معاملة المنكر للخبر فجيء له بالخبر مؤكَّداً.

٥. وقال تعالى يخاطب مُنْكِري ألوهيته ووحدانيته: ﴿و**إلـهُكُمْ إلهٌ واحدٌ**﴾.

في هذه الآية يخاطب الله تعالى مَنْ يُنكر وحدانيته، فمقتضى الظاهر أن يُلقَى الخبر مؤكَّداً بمؤكِّدين أو أكثر، ولكننا نلاحظ أن الخبر أُلقي غير مؤكَّد، وذلك لأن المخاطَبين عوملوا معاملة مَنْ لا يُنْكِر الخبر؛ لأن معهم من الأدلة على صدق هذا الخبر ما لو تأملوه لرجعوا عن إنكارهم، فكأنَّ إنكارهم عومل معاملة المعدوم غير الموجود؛ لأنه لا وجه له.

٦. نقول لمن ينكر ضرر الجهل: ((**الجهلُ ضارٌّ**)).

المخاطَب يُنكر هذا الخبر، فكان مقتضى الظاهر أن يُلقى الخبر مؤكَّداً بمؤكِّدين أو أكثر، ولكن الخبر أُلقي خالياً من التوكيد؛ لأنه عومل المخاطَب المنكِر معاملة من لا ينكر؛ لأن مع من الأدلة على صحة الخبر ما لو تأمله لرجع عن إنكاره، فإنكاره وعدم إنكاره سواء.

٧. نقول للذي لا يطيع والديه: ((**إنَّ برَّ الوالدَيْنِ لَوَاجبٌ**)).

هنا عومل المخاطَب غير المنكر معاملة المنكر؛ لأنه تصرف كتصرف مَنْ ينكر الخبر.

٨. قال تعالى: ﴿يا أيُّـها الناسُ اتقوا ربَّكم **إنَّ زلزلةَ الساعةِ شيءٌ عظيمٌ**﴾.

---

١٢ أي: جاعلاً رمحه على فخذين غير آبهٍ بأعدائه، وكأن أعداءه لا سلاح لهم.

في هذه الآية كان مقتضى الظاهر أن يُلقى الخبر (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) خالياً من التوكيد؛ لأن المخاطَب خالي الذهن من الحكم، ولكن لما تقدم في الكلام ما يُشْعِر بوجود حكم ما صار المخاطَب متطلعاً كأنَّه طالب لمعرفة الحكم، فعومل معاملة السائل المتردد فأُلقي الخبر مؤكَّداً.

٩. نقول لـمَنْ يُنْكِر وجود الله تعالى: ((**اللهُ موجودٌ**)).

مقتضى الظاهر أن يُلقى الخبر مؤكَّداً بمؤكِّدين أو أكثر؛ لأن المخاطَب يُنكره، لكن لما كان لديه من البراهين والحجج ما لو تأمله لرجع عن الإنكار عُومل معاملة من لا ينكر الخبر؛ فأُلقي إليه الخبر خالياً من التوكيد.

١٠. نقول لـمَنْ يظلم الناسَ: ((**إنَّ الله لَـمُطَّلِعٌ على أفعال العباد**)).

مقتضى الظاهر أن يُلقى الخبر خالياً من التوكيد؛ لأن المخاطَب لا ينكر ما تضمنه الخبر، لكن لما كان تصرفه كتصرف مَنْ ينكر الخبر عومل معاملته، فأُلقي إليه الخبر مؤكَّداً بتوكيدين (إنَّ، واللام).

١١. قال تعالى: ﴿وصَلِّ عليهِمْ **إنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُـمْ**﴾.

ت	الخبر	نوعه	أداة التوكيد	سبب خروجه عن مقتضى الظاهر
١	إنهم مغرقون	طلبي	إنَّ	تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد لتقدم ما يشير إلى الخبر في الكلام
٢	إن النفس لأمارة بالسوء	طلبي	إنَّ	تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد لتقدم ما يشير إلى الخبر في الكلام
٣	إنَّكم بعد ذلك لميتون	إنكاري	إنَّ، واللام	تنزيل غير المنكر منزلة المنكر لظهور أمارات الإنكار عليه
٤	إن بني عمِّك فيهم رماح	طلبي	إن	تنزيل غير المنكر منزلة المنكر لظهور أمارات الإنكار عليه
٥	إلهكم إلهٌ واحد	ابتدائي	///	تنزيل المنكر منزلة غير المنكر لظهور الأدلة على صدق الخبر
٦	الجهل ضار	ابتدائي	///	تنزيل المنكر منزلة غير المنكر لظهور الأدلة على صدق الخبر
٧	إنَّ برَّ الوالدين لواجب	إنكاري	إن، واللام	تنزيل غير المنكر منزلة المنكر لظهور أمارات الإنكار عليه
٨	إنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم	طلبي	إنَّ	تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد لتقدم ما يشير إلى الخبر في الكلام
٩	الله موجود	ابتدائي	///	تنزيل المنكر منزلة غير المنكر لظهور الأدلة على صدق الخبر
١٠	إن الله لمطلع...	إنكاري	إن، واللام	تنزيل غير المنكر منزلة المنكر لظهور أمارات الإنكار عليه
١١	إن صلاتك سكن لهم	طلبي	إنَّ	تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد لتقدم ما يشير إلى الخبر في الكلام

****

الإنشـــــاء

تقسيم الإنشاء إلى طَلَبي وغير طَلَبي:

ينقسم الإنشاء على نوعين:

القسم الأول: الإنشاء الطَّلَبي: وهو ما يستدعي مطلوباً غيرَ حاصل وَقْتَ الطَّلب، ويكون بالأمر والنهي والاستفهام والنِّداء والتمنِّي.

القسم الثاني: الإنشاء غير الطَّلَبي: وهو ما لا يستدعي مطلوباً، وله صيغ كثيرة منها: التَّعَجُّب، والـمَدْح، والذَّمُّ، والقَسَم، وأفعال الرَّجاء، وصِيَغ العقود[١٣].

مـلاحظـــة:

١. علم المعاني يبحث في القسم الأول فقط، أما القسم الثاني فلا يُبحث في علم المعاني.
٢. الفرق بين التمني والرجاء، أن التمني هو أسلوب يُطلب به حصول أمر غير ممكن الحصول، أو مستبعد الحصول. أما الرجاء فهو توقع وترقب حصول أمر قد يحصل وقد لا يحصل، لذلك لا يقال: ((لعلَّ الشمس تُشْرِقُ))، والرجاء إن كان يتعلق بتوقع أمر محبوب سُمِّي طَمَعاً، وإن كان يتعلق بتوقع أمر مكروه سُمِّي إشفاقاً، فمثال الطمع: ((لعلَّ ابني ينجحُ))، ومثال الإشفاق: ((لعلَّني أموتُ الساعةَ)). من هنا يظهر لنا أن الرجاء لا يتضمن طلباً، وإنما هو توقع.

تمريـــــــــن:

بين نوع الإنشاء في كل مما يأتي مع ذكر طريقته في كل مما يأتي:

١. لا تَسْقِني ماءَ الـمَلامِ فإنَّني صَبٌّ قَدِ اسْتَعْذَبْتُ ماءَ بُكَائي
٢. أَحْبِبْ حبيبَكَ هَوْناً ما عَسَى أنْ يكونَ بغيضَكَ يوماً ما.
٣. يا ناصر الدين إذْ رَثَّتْ حَبَائلُهُ لَأنتَ أكرمُ مَنْ آوَى ومَنْ نَصَرا
٤. وقال الشاعر يطلب حاجةَ: أَأَذْكُرُ حاجتي أمْ قَدْ كَفَاني حَيَاؤُكَ إنَّ شمَتَكَ الحَيَاءُ
٥. نِعْمَ امرَأ هَرِمٌ لم يَعْرُ نائبةٌ إلا وكان لِـمُرْتاعٍ بها وَزَرا

---

١٣ المقصود بصيغ العقود تلك الجمل التي يقصد منها إنشاء العقود أو حلها، مثل عقود البيع والزواج وقرارات تعيين الموظفين وعبارات الطلاق وغيرها، مثل: ((بِعتُكَ هذه السيارة)) و((زوجْتُكَ ابنتي)). ومنها الأوامر الجامعية التي يقررها رئيس الجامعة.

٦. أجارتَنا إنَّا غريبانِ هاهُنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نَسِيبُ

٧. يا ليتَ مَنْ يمنع المعروفَ يمنعُهُ حتى يذوقَ رجالٌ غِبَّ ما صَنَعوا

٨. وحياةِ راسِكَ لا أَعُو دُ لِـمِثلِها وحياةِ راسك

٩. ما أكثرَ الناس! لا، بل ما أقلَّهم! الله يعلم أنِّي لم أَقُلْ فَنَـدا

إنِّي لَأفتحُ عيني حين أفتحُهـــا على كثيرٍ ولا أرى أحدا

الحـــــــل:

ت	الإنشاء	نوعه	طريقته
١	لا تسقني ما الملام	طلبي	النهي
٢	أحبب حبيبك هوناً ما	طلبي	الأمر
	عسى أن يكون بغيضك يوماً ما	غير طلبي	الرجاء
٣	يا ناصر الدين	طلبي	النداء
٤	أأذكر حاجتي	طلبي	الاستفهام
٥	نعم امرأ هرم	غير طلبي	المدح
٦	أجارتنا	طلبي	النداء
٧	يا ليت من يمنع	طلبي	التمني
٨	وحياة راسك	غير طلبي	القسم
٩	ما أكثر الناس.. ما أقلهم	غير طلبي	التعجب

مباحث الإنشاء

ويتضمن الكلام على الإنشاء خمسة مباحث هي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتمني، وفيما يأتي تفصيل الكلام في كل مبحث:

الأمـــــــــــر

معنى الأمـــــر:

هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء. كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ﴾ فقوله تعالى ((أقم)) هذا أمر؛ لأنه يتضمن طلب الفعل [وهو إقامة الصلاة] وهو صادر من الربِّ سبحانه إلى عباده، فهو صادر على وجه الاستعلاء. فالأمر يقتضي طلب الفعل على وجه الإلزام والوجوب، وهذا هو المعنى الحقيقي للأمر.

صيغ الأمـــــر:

للأمر صيغ أربع، هي:

أ. فعل الأمر: مثل: اكْتُبْ، انْهَضْ، اسْعَ، قُمْ اقْعُدْ... إلخ.

ب. الفعل المضارع المقترن بلام الأمر: وهذه الصيغة تستعمل غالباً في أمر الغائب، مثل: ((لِيَجْتَهِدْ[١٤] مَنْ يريد النَّجاحَ)).

ت. اسم فعل الأمر: مثل (صَهْ) بمعنى اسكت، و((عليكم)) بمعنى الزموا كما في قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وهنا يجب أن نشير إلى أن ((عليكم)) في هذه الآية وليس حرف جر وضمير في محل جر، وإنما كلمة واحدة بمعنى ((الزموا)).

ث. المصدر النائب عن فعل الأمر: كما في قوله تعالى: ﴿وبالوالِدَيْنِ **إحْساناً**﴾ فـ (إحساناً) مصدر نائب عن فعل الأمر (أَحْسِنوا)، وكما في قولنا: ((**ضَرْباً** الكُرَةَ)) أي: اضربوا الكرة.

المعاني المجازيـــة التي يخرج إليها الأمر:

١٤ نقول في إعراب (ليجتهد): اللام لام الأمر، وهي حرف جزم. يجتهد: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون.

ذكرنا أن الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، وهو يقتضي طلب الفعل طلباً ملزماً؛ هذا هو المعنى الحقيقي للأمر، ولكن قد تأتي صيغة الأمر لتدلَّ على معانٍ أخرى يدل عليها السياق والقرائن، ومن هذه المعاني:

المعنى الأول: النصح والإرشاد: ويكون عادةً في مجال النصح وإبداء المشورة، ومنه الأوامر التي تصدر من الوُعَّاظ والخطباء. كما في قول المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني:

((كذا **فَلْيَسْرِ** مَنْ طَلَبَ الأَعادي ومِثْلَ سُرَاكَ **فَلْيَكُنِ** الطِّـلَابُ)) فالمتنبي لا يريد تكليف المأمور أو إلزامه، وإنما نصح من أراد منافسة سيف الدولة وأرشدهم إلى الطريق الأمثل في طلب المجد، فالأمر هنا للإرشاد.

المعنى الثاني: الدعاء: ويكون عند صدور صيغة الأمر من الأدنى إلى الأعلى رُتْبةً، كقولنا نخاطبُ اللهَ تعالى: ((رَبِّ **اغْفِرْ** لي)) فعل الأمر هنا لا يدل على الأمر، وإنما يدل على الدعاء. ومنه قول المتنبي يخاطب سيف الدولة: ((**أَزِلْ** حَسَدَ الحُسَّادِ عنِّي بكَبْتِهم فأنتَ الذي صيَّرْتَهم ليَ حُسَّدا)) فعل الأمر (أزِلْ) ليس أمر؛ لأنه صادر من أحد أفراد الرعية إلى الـمَلِك، والرعية لا تأمر الملك، فهذا الأمر معناه الدعاء.

المعنى الثالث: الالتماس: ويكون عند صدور صيغة الأمر من شخص لمن هو مثله في الرتبة، كالأمر الصادر من صديق إلى صديقه، أو من أخ إلى أخيه، أو من تلميذ إلى زميله... وهكذا، كما في قول التلميذ لزميله: ((**ناوِلْني** القَلَمَ)) فالأمر هنا ليس أمراً حقيقياً بل هو التماس.

المعنى الرابع: التمني: كما في قول امرئ القيس:

((أَلَا أيُّها اللَّيْلُ الطَّويلُ أَلَا **انْجَلِ** بصُبْحٍ وما الإصباحُ منكَ بأَمْثَلِ)) فامرؤ القيس هنا وجه الأمر (انجلِ) إلى الليل، وهو لا يريد أن يأمر الليل بالانجلاء، وإنما هو يتمنى انجلاءه فأخرج التمني على صورة الأمر، فالأمر هنا إذن معناه التمنِّي.

المعنى الخامس: التخيير: كما في قول البحتري: ((فَمَنْ شاءَ **فَلْيَبْخَلِ** ومَنْ شاء **فَلْيَجُدْ**....)) فالأمر هنا للتخيير، فهو يريد أن يخير السامع بين الفعلين، فكلامهما متاحٌ له وعليه أن يختار أحدهما.

المعنى السادس: التسوية: كما في قوله تعالى: ﴿**اصْبِرُوا** أو لا تَصْبِروا سواءٌ عَلَيْكُمْ﴾ فليس الأمر في قوله ((اصبروا)) أمراً حقيقياً، بمعنى أنه لا يراد به طلب الصبر، وإنما المراد بيان أن الصبر وعدمه سواء.

المعنى السابع: التعجيز: كما في قول الشاعر:

((**أروني** بخيلاً طالَ عُمْراً ببُخْلِهِ وهاتوا كريماً ماتَ من كَثْرةِ البَذْلِ)) المقصود بالأمرين الواردين في هذا البيت هو تعجيز السامعين عن إيجاد بخيل أطال البخل عمره أو إيجاد كريم مات بسبب كرمه. فالبخل لا يطيل العمر، والكَرَم لا يقصره.

ومنه قوله تعالى: ﴿وإنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا على عَبْدِنا فأْتُوا بسورةٍ مِنْ مِثْلِهِ... ﴾.

المعنى الثامن: التهديد: وهو التخويف من الفعل، كما في قول الشاعر:

((إذا لم تَـخْشَ عاقبةَ الليالي ولم تَسْتَحْيِ **فاصنعْ** ما تَشَاءُ)) فالأمر هنا لا يُطلب به صنع ما يشاء السامع، وإنما المراد تهديده من صنع ما يشاء دون النظر إلى حكم الشرع والتفكر في عاقبة الفعل.

المعنى التاسع: الإباحة: أي: تجويز الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿و**كُلُوا** و**اشْرَبُوا** حتَّى يَتَـبَـيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأبيض من الخَيْطِ الأسوَدِ مِنَ الفَجْرِ﴾ فالأمران في الآية للإباحة؛ أي: إباحة الأكل والشرب بعد تحريمهما في نهار رمضان.

تمريـــــن:

حدد الأمر وبين صيغته ومعناه في كل مما يأتي:

١. قال تعالى مخاطباً يحيى عليه السلام: ﴿خُذِ الكِتابَ بقُوَّةٍ﴾.
٢. شاوِرْ سِواكَ إذا نابَتْكَ نائبةٌ يوماً وإن كنتَ من أهل الـمَشُوراتِ
٣. واخفض جناحكَ إن مُنِحْتَ إمارةً وارغَبْ بنفسِكَ عن رَدَى اللَّذَّاتِ
٤. فيا موتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذميمةٌ ويا نفسُ جِدِّي إنَّ دَهْرَكِ هازِلُ
٥. أريني جواداً ماتَ هُزْلاً لعلَّني أرى ما ترينَ أو بخيلاً مُخَلَّدا
٦. قال أحدهم ينصح ابنه: ((دعْ من أعمال السِّرِّ ما يصلح لك في العلانية)).
٧. فَعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنَّهُ مُقارفُ ذنبٍ مرةً ومُجانِبُهْ
٨. قال تعالى: ﴿قُلْ تَـمَتَّعُوا فإنَّ مَصِيرَكُمْ إلى النَّار﴾.
٩. قال المتنبي يخاطب سيف الدولة:
أخا الجُودِ أَعْطِ الناسَ ما أنتَ مالِكٌ ولا تُعْطِيَنَّ الناسَ ما أنا قائلُ
١٠. وقال الشاعر يخاطب نفسه:
فصَبْراً في مجَال الـمَوْتِ صَبْراً فما نَيْلُ الخُلُودِ بمُسْتَطاعِ

الحـــــــــل:

ت	الأمر	صيغته	معناه	ت	الأمر	صيغته	معناه
١	خُذْ	فعل الأمر	المعنى الحقيقي للأمر	٦	دع	فعل الأمر	الإرشاد
٢	شاورْ	فعل الأمر	الإرشاد	٧	فعشْ/ صِلْ	فعل الأمر	التخيير
٣	اخفض	فعل الأمر	الإرشاد	٨	قُلْ	فعل الأمر	المعنى الحقيقي للأمر
٣	ارغب	فعل الأمر	الإرشاد	٨	تمتعوا	فعل الأمر	التهديد
٤	زر	فعل الأمر	التمني	٩	أعطِ	فعل الأمر	الدعاء
٤	جدي	فعل الأمر	التمني	١٠	صبراً	المصدر النائب عن الفعل	المعنى الحقيقي للأمر
٥	أريني	فعل الأمر	التعجيز				

****

النهـــــــــــي

معنى النهـــــي:

هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء. وهو يقتضي إلزام المخاطَب بالكف عن الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿ولا تَقْتُلوا النَّفْسَ التي حَرَّم اللهُ﴾ فقوله (لا تقتلوا) نهي؛ لأنه طلب الكف عن فعل القتل، وهو على وجه الاستعلاء؛ لكونه صادراً من الربِّ تعالى إلى العباد، ويقتضي إلزام العباد بالكف عن فعل القتل.

صيغ النهـــــي:

للنَّهْي صيغة واحدة، هي الفعل المضارع مع (لا) الناهية، ففي قوله تعالى السابق: ﴿ولا تقتلوا﴾ لا: حرف نهي، وهو من الحروف التي تدخل على الفعل المضارع فتجزمه. والفعل (تقتلوا) فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة. ومن أمثلة النهي قول الوالد لولده: ((لا تُهْدِرْ وقتَكَ)) و((لا تؤذِ إخوانَكَ))، وكقول الأستاذ لطلبته: ((لا تتكلَّموا في الدَّرْسِ)).

المعاني المجازيـــة التي يخرج إليها النهي:

ذكرنا أن النهي هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وهو يقتضي طلب الكف عن الفعل طلباً ملزماً؛ هذا هو المعنى الحقيقي للنهي، ولكن قد تأتي صيغة النهي لتدلَّ على معانٍ أخرى يدل عليها السياق والقرائن، ومن هذه المعاني:

المعنى الأول: الدعاء: ويكون هذا إذا صدرت صيغة النهي من الأدنى إلى الأعلى رتبة، كقولنا: ((ربَّنا **لا تُسَلِّطْ** علينا ظالماً)) في هذا القول صدرت صيغة النهي من العباد إلى الربِّ تعالى، وهذا ليس نهياً حقيقياً بل هو دعاء.

المعنى الثاني: الالتماس: ويكون إذا صدر من شخص إلى مَنْ هو مثله في الرُّتبة، كالأخ لأخيه، والصديق لصديقه، والطالب لزميله... وهكذا. كقول الأخ لأخيه: ((**لا تَرْفعْ** صوتَكَ)).

المعنى الثالث: التمني: قال أبو نواس في مدح الأمين:

((يا ناقُ **لا تَسْأمي** أو تَبْلُغي مَلِكاً تقبيلُ راحتِهِ والرُّكْنِ سِيَّانِ)) فالشاعر يخاطب ناقته ويطلب منها الكف عن السآمة من السير، وهذا ليس نهياً حقيقياً؛ لأن النوق ليس من شأنها أن تُخاطَب، وإنما هو يتمنى أن تتحمل مشاق السفر وأن لا تصيبها السآمة حتى تبلغ ديار الخليفة الأمين.

المعنى الرابع: الإرشاد: كما في قول أبي العلاء المعري:

((ولا تجلِسْ إلى أهل الدَّنايا فإنَّ خلائقَ السُّفَهاءِ تُعْدي)) فأبو العلاء يعظ سامعيه ويرشدهم إلى الكف عن مجالسة أهل العزائم الدنية السفهاء. وهذا يشمل كل نهي صادر من الوُعَّاظ والخطباء.

المعنى الخامس: التوبيخ: كما في قول أبي الأسود الدُّؤَلي:

((لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَهُ عارٌ عليكَ إذا فعلْتَ عظيمُ)) المقصود بالنهي هنا هو توبيخ من ينهى الناس عن السوء ولا ينتهي هو عنه.

المعنى السادس: التيئيس: قال الشاعر: ((لا تَعْرِضَنَّ لجعفرَ مُتَشَبِّهاً بنَدَى يَدَيْهِ فلَسْتَ من أندادِهِ)) في هذا البيت ينهى الشاعر عن التنافس مع جعفر في الكرم، والمقصود تيئيس المخاطب عن بلوغ منزلة جعفر في الكرم.

المعنى السابع: التهديد: كقول الوالد لولده: ((لا تمتثلْ أمري)) فالنهي هنا ليس حقيقياً؛ لأن الوالد لا يقصد أن ينهى ولده عن امتثال أمره، بل المراد تهديده في حال عدم امتثال أمره.

المعنى الثامن: التحقير: قال المتنبي يهجو [أي: يذم] كافوراً[١٥]:

((لا تَشْتَرِ العبدَ إلا والعصا معهُ إنَّ العبيدَ لَأنجاسٌ مناكيدُ)) النهي هنا ليس على حقيقته، فلا يقصد المتنبي النهي عن ذلك حقيقة، وإنما هو يريد الانتقاص من شأن كافور وتحقيره.

تمريـــــــــــن:

عين النهي فيما يأتي، ثم بين معناه المراد منه:

١. قال تعالى: ﴿ولا تُفْسِدوا في الأرضِ بَعْدَ إصلاحِها﴾.
٢. لا تَحْلِفَنَّ على صِدْقٍ ولا كَذِبٍ فما يُفِيدُكَ إلا الـمَـأْثَمَ الحَلِفُ
٣. قال تعالى: ﴿لا يَسْخَرْ قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾.
٤. قال تعالى: ﴿لا تَعْتَذروا قد كَفَرْتُمْ بعدَ إيمانِكُمْ﴾.
٥. قال البحتري يخاطب المعتمد على الله:
لا تَخْلُ من عيشٍ يَكُرُّ سرورُهُ أبداً ونَوْرُوزٍ عليكَ مُعادِ

١٥ كافور من أمراء مصر في ذلك الوقت، وكان عبداً.

٦. ولا تُثْقِلا جِيدي بمِنَّةِ جاهلٍ أروحُ بها مثلَ الحمامِ مُطَوَّقا

٧. لا تطلبِ الـمَجْدَ إنَّ المجدَ سُلَّمُهُ صَعْبٌ وعِشْ مُسْتَرِيحاً ناعمَ البالِ

٨. قالت الخنساء ترثي أخاها صخراً:

أَعَيْنَيَّ جُودا ولا تَجْمُدا أَلَا تَبْكِيانِ لصخرِ النَّدى

٩. قال أحد الحكماء: ((لا تطلبوا الحاجات في غير حينها، ولا تطلبوها من غير أهلها)).

الحـــــل:

ت	النهي	معناه	ت	النهي	معناه
١	ولا تفسدوا	المعنى الحقيقي للنهي	٦	لا تثقلا	الالتماس
٢	ولا تحلفن	الإرشاد	٧	لا تطلب	التحقير
٣	لا يسخر	التوبيخ	٨	لا تجمدا	التمني
٤	لا تعتذروا	التيئيس	٩	لا تطلبوا	الإرشاد
٥	لا تخل	الدعاء	٩	ولا تطلبوا	الإرشاد

****

الاستفهـــــام

معنى الاستفهام وحرفاه (الهمزة وهل):

هو طلب العِلْم بشيء لم يكن معلوماً من قبل. وله أدوات كثيرة، منها: الهمزة، وهَلْ. وفيما يأتي تفصيل الكلام في هاتين الأداتين:

أولاً: الهمزة: ويُطلب بها أحد أمرين[١٦]:

أ. التصور: وهو إدراك المفرد، وفي هذه الحالة تأتي الهمزة وبعدها المسؤول عنه، ويُذكر بعده مُعادِلُهُ بعد (أمْ). كما في قولنا: ((أزيدٌ أخوكَ أمْ عَمْرٌو؟)) فهنا يكون الجواب بتعيين أحدهما.

ب. التصديق: وهو إدراك النسبة، أي: يكون الاستفهام عن الحكم [وهو إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه]، وفي هذه الحالة يُذكر المسؤول عنه بعد الهمزة ولا يُذكر له معادل، كقولنا: ((أجاءَ زيدٌ؟)) والجواب عن هذا الاستفهام يكون بـ (نَعَمْ) أو (لا)، وفي حالة ورود حرف نفي بعد الهمزة في يجاب عنها بـ (نَعَمْ) أو (بَلَى) ولكل من الإجابتين معنى خاص، فمثلاً في قولنا: ((ألَمْ يأتِ زيدٌ؟)) إن كان زيدٌ أتى فيكون الجواب بـ (بَلَى)، وإن لم يكن أتى فيكون الجواب بـ (نَعَمْ).

ثانياً: هَلْ: ويُطلب بها التصديق فقط، ويمتنع معها ذِكْر المعادِل، ويكون الجواب عن الاستفهام بها بـ (نعم) أو (لا). كما في قولنا: ((هل جاء زيدٌ؟)).

وفيما يأتي أمثلة للهمزة التي هي للتصور:

١. أأنتَ المسافرُ أم أخوك؟ (هنا الاستفهام عن تعيين المبتدأ).
٢. أقرأتَ أم كتبتَ؟ (هنا الاستفهام عن تعيين الفعل).
٣. أزيداً أكرمتَ أم عَمْراً؟ (هنا الاستفهام عن تعيين المفعول به).
٤. أراكباً جئتَ أم ماشياً؟ (الاستفهام هنا عن تعيين الحال).
٥. أيومَ الجمعةِ تسافرُ أم يومَ السبتِ؟ (الاستفهام عن ظرف الزمان).

---

١٦ الإدراك البشري على نوعين: التصور، والتصديق. أما التصور فهو إدراك المفرد، مثل معرفة ما معنى (زيد) وما معنى (يركضُ). وأما التصديق فهو إدراك النسبة نفياً أو إثباتاً، مثل إثبات الفعل (يركضُ) لزيد في قولنا: ((يركضُ زيدٌ))، ومثل نفي الفعل (يركض) عن زيد في قولنا: ((لم يركضْ زيدٌ)).

بقية أدوات الاستفهام:

للاستفهام أدوات أخرى غير الهمزة وهل، وهي كلها أسماء، وهي كلها يُطلب بها التصور فقط، ولذلك لا يكون الجواب عن الاستفهام بها بـ (نعم) أو (لا) بل لا بدَّ من تعيين المسؤول عنه. وفيما يأتي بيانها:

- مَنْ: ويُطلب بها تعيين العقلاء، مثل: مَنْ جاء يومَ أمسِ؟
- ما: ويُطلب بها شرح الاسم أو حقيقة المسمَّى، مثل: ما القَسْوَرةُ؟ أي: ما معنى هذا اللفظ؟ ومثل قولنا: ما الإنسان؟ أي: ما حقيقة الإنسان. وقد يُستفهم بـ (ما) للاستفهام عن صفة الشيء، فمثلاً يقال: (جاء زيدٌ إلى الدائرةِ) فيقول السامع: (وما زيدٌ؟) أي: ما صفته ووظيفته؟ فيقال: (هو المدير الجديد).
- مَتَى: ويُطلب بها تعيين الزمان ماضياً كان أو مستقبلاً، مثل: متى جاء أحمدُ؟ ومتى يغادرُ؟
- أَيَّانَ: ويُطلب بها تعيين الزمان المستقبل فقط، وغالباً ما ترد في مواضع التهويل والتفخيم، كما في قوله تعالى: ﴿يسألونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾.
- كَيْفَ: ويُطلب بها تعيين الحال، مثل: كيف جاء زيدٌ؟ فيجاب مثلاً: جاء زيدٌ راكباً.
- أَيْنَ: ويُطلب بها تعيين المكان، مثل: أينَ الامتحان؟ أي: في أي مكان سيكون؟
- أَنَّى: ولها معانٍ عدة؛ فتكون بمعنى (كيف) كما في قولنا: (أَنَّى ينجحُ الكسولُ؟)، وتكون بمعنى (مِنْ أَيْنَ) مثل: (أَنَّى لكَ هذا المالُ؟) أي: من أين لكَ هذا المال؟، وتكون بمعنى (متى) مثل: (أَنَّى تذهبُ؟) أي: متى تذهب؟ ومثل: (أَنَّى يَحْضَرُ الغائبونَ؟).
- كَمْ: ويُطلب بها تعيين العَدَد، مثل: كَمْ قَلَماً اشتريتَ؟ وكَمْ رِدْهَماً عندَكَ؟
- أيّ: ويُطلب بها تعيين أحد المتشاركين في أمر يعمهما، وبتعبير أوضح: يُسأَل بهذه الأداة عما يميز أحد المتشاركين في أمر من الأمور، مثل: (أيُّ الكتابينِ أحبُّ إليكَ؟) و(أيَّ يومٍ ستأتي؟) و(أيُّ الراكضِينَ سيصل أولاً؟) وقوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بالأَمْنِ...﴾.

المعاني التي تُستَفاد من الاستفهام بالقرائن:

المعنى الحقيقي للاستفهام هو طلب العلم بشيء يجهله المتكلِّم ويريد جواباً من المخاطَب، ولكن أحياناً يصدر الاستفهام من المتكلِّم مع علمه بالـمُستَفْهَم عنه أو لا يريد جواباً على استفهامه، وهذا لا يصح إلا إذا كان لغرض صحيح.

فللاستفهام إذن أغراض ومعانٍ تُفهَم وتُدرك بالقرائن وسياق الكلام، ومن هذه الأغراض:

المعنى الأول: النفي: كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلا الإِحْسَانُ﴾ أي: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، ومثله قول الشاعر: ((هَلِ الدَّهْرُ إلا غَمْرَةٌ وانجِلاؤُها وَشِيكاً وإلا ضِيقةٌ وانفراجُها؟)).

المعنى الثاني: الإنكار: ويكون عندما يريد المتكلِّم أن ينكر على المخاطَب ويستهجن ما حدث في الماضي أو يمكن أن يحدث في المستقبل. والاستفهام الإنكاري على قسمين: التوبيخي وسيأتي الحديث عنه في المعنى الثالث، والتكذيبي كأن يدَّعي عليك أحدٌ أنَّكَ غِبْتَ عن عملك فتقول له: ((أَزَعَمْتَ أَنَّني غِبْتُ عن عَمَلي؟)). ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بالبَنِينَ واتَّخَذَ من الملائكةِ إناثاً إنَّكُمْ لَتقولونَ قَوْلاً عَظيماً﴾، فهذان مثالان على التكذيب المتعلق بالماضي، ومثال التكذيب في غير الماضي أن تقول لمن غارق في اللهو وموالاة أعداء الأمة: ((أتزعُمُ أنَّكَ ستحرِّرُ الأقصى؟)) تريد أن تنكر عليه وتكذبه في ادعائه أنه يريد أن يحرر الأقصى. فالتكذيب في الماضي معناه أن هذا الشيء لم يحصل، والتكذيب في غير الماضي معناه أن هذا الشيء لن يحصل ولن يكون.

المعنى الثالث: التوبيخ: ويكون في الماضي والمستقبل، فالتوبيخ في الماضي معناه: ما كان ينبغي لك هذا وما يليق أن يصدر منك، والتوبيخ في المستقبل معناه: لا يصح أن يكون ذلك منك. ومثال التوبيخ في الماضي أن تقول بمن عرفتَهُ جادًّا مجتهداً في دراسته ولكنه رسب في الامتحان: ((أرسبتَ في الامتحان؟)) كأنَّك تقول له: ما كان ينبغي منك هذا. ومنه أن تقول لـمَنْ نشأ على الفضيلة لكنَّه عمل عملاً غير لائق: ((أأنتَ يصدرُ منكَ هذا الفعل؟)). ومثال التوبيخ في المستقبل أن تقول لمن سمعتَ أنه سيذهب لمفاوضة اليهود: ((أتذهبُ لمفاوضة اليهودُ؟)) وكذلك قولك لمن عرفتَ أنه سيترك الدراسة: ((أتتركُ دراستَكَ؟)). ومثال الاستفهام التوبيخي في القرآن الكريم: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ باللهِ وكُنْتُمْ أمواتاً فأحْيَاكُمْ**﴾ فالمراد توبيخهم على كفرهم بالله تعالى وقد عرفوا نِعَمَ الله عليهم وأنه هو الذي أوجدهم من العدم؛ كأنه يقول لهم: لا ينبغي أن يصدر الكفر منكم وهذه نِعَمُ الله عليكم كما تعرفونها.

المعنى الرابع: التقرير: والمقصود بالتقرير هو حمل المخاطَب على الإقرار والاعتراف، كقول الوالد لولده: ((أَفَعَلْتَ هذا؟)) وهو يعلم أن ولده فعله، ولكنه يريده أن يعترف بفعله فيجب بـ ((نعم)). ومنه قوله تعالى على لسان العبد الصالح يخاطب موسى عليه السلام: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إنَّكَ لَنْ تستطيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بكافٍ عَبْدَهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بَلَى﴾ وكقول قوم إبراهيم يخاطبونه: ﴿أأنتَ فَعَلْتَ هذا بآلِـهَـتْنا﴾.

المعنى الخامس: التعظيم: كقولنا: ((أيُّ رسولٍ هذا الذي مَنَّ الله علينا به؟)) و((أيُّ دينٍ هذا الذي أكْرَمَنَا اللهُ به؟)).

المعنى السادس: التحقير: ومنه قوله تعالى حكايةً عن الكفار: ﴿أهذا الذي بَعَثَ اللهُ رسولاً﴾. ومنه قول المتنبي يهجو كافوراً: ((مِنْ أيَّةِ الطُّرْقِ يأتي مثلَكَ الكَرَمُ؟.....))

المعنى السابع: الاستبطاء: كقول الطالب الـمُتْعَب: ((متى تنتهي السنةُ الدراسيةُ؟)) وكقوله تعالى: ﴿أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلوا الجنَّةَ ولـمَّا يأتِكُمْ مَثَلُ الذين خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البأْساءُ والضَّرَّاءُ حتى يقولَ الرَّسولُ والذين مَعَهُ **متى نَصْرُ اللهِ** أَلَا إنَّ نَصْرَ اللهِ قريبٌ﴾.

المعنى الثامن: التعجُّب: كقول الشاعر وقد أصابته حُمَّى:

((أبنتَ الدَّهْرِ عندي كلُّ بنتٍ **فكيفَ وَصَلْتِ أنتِ من الزِّحامِ؟**))

وكقولنا: ((كيف حَمَلْتَ هذه الصَّخْرةَ الثقيلةَ؟)).

المعنى التاسع: التسوية: كقوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿سواءٌ علينا أَوَعَظْتَ أمْ لم تَكُنْ مِنَ الواعظين﴾.

المعنى العاشر: التمنِّي: كقوله تعالى حكاية عن أهل النار: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَـيَشْفَعُوا لَنَا﴾.

المعنى الحادي عشر: التشويق: كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ على تِجَارةٍ تُنْجيكُمْ مِنْ عَذَابٍ إليمٍ﴾.

****

التَّمَنِّـــي

معنى التمني:

التمني هو طلب أمر محبوب لا يُرجى حصوله؛ إما لكونه مستحيلاً، وإما لكونه ممكناً لا يُطمع في نيله.

وقد سبق أن ذكرنا في أول موضوع الإنشاء الفرق بين التمني والترجي، ويستحسن هنا أن نضرب مثالاً لتوضيح الفرق بينهما زيادةً على ما سبق وتذكيراً بما قلناه: نقول مثلاً ((ليت لي داراً)) هذا أسلوب التمني، ويُشترط لكي يكون صحيحاً أن لا يكون حصول الدار متوقَّعاً لقلة ذات اليد وكثر التكاليف، أما إذا كان الحصول على الدار متوقَّعاً لتوقع المتكلم أن يحصل على تكاليف الدار فهنا يجب أن يستعمل أداة الترجي (لعل) فيقول: ((لعل لي داراً))؛ لأنه تعبير عن توقع الحصول على الدار وليس تمنياً.

أداة التمني:

للتمني أداة واحدة؛ هي (لَيْتَ)، وقد تُستعمل أدوات أخرى للتمني لأغراض بلاغية، فقد تُستعمل الأداتان (هل) و(لَعَلَّ) لإظهار الـمُتَمَنَّى في صورة الممكن القريب الحصول لكمال العناية به والتشوق إليه. وقد تُستعمل (لَوْ) للإشعار بعزة الـمُتَمَنَّى وندرته لأن المتكلم يظهره بصورة الممنوع؛ فالأداة (لو) تدل بأصلها على امتناع الجواب لامتناع الشرط[١٧].

أما الترجي فهو كما قلنا توقع حصول شيء، فإذا كان الشيء المتوقَّع حصوله محبوباً فإن طلبه يُسمى ترجياً، ويُستعمل فيه (لعلَّ) و(عسى)، وقد تُستعمل فيه (ليت) لغرض بلاغي؛ هو إظهار المرجو في صورة المستحيل مبالغةً في بُعْد نيله.

أمثلة على التمني والترجي:

١. قال الشاعر في شهر رمضان: ((فليتَ الليلَ فيه كان شهراً ومَرَّ نهارُهُ مرَّ السَّحَّابِ)) فالشاعر طلب محبوباً لا يُرجى حصوله؛ لكونه مستحيلاً، فهذا الأسلوب يُسمى بالتمني وأداته (ليت).
٢. قال تعالى حكاية عن أهل النار: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعوا لَنَا﴾ هنا يطلب أهل النار حصول أمر محبوب لكنه مستحيل، فهذا هو أسلوب التمني، وقد استعملت فيه الأداة (هل).

---

١٧ عندما نقول: (لو جاء زيدٌ لأكرمته) فهذا يعني أن إكرام زيد لم يحصل؛ لأن شرطه (وهي مجيء زيد) لم يقع. ولذلك تُسمى (لو) حرف امتناع لامتناع.

٣. قال الشاعر: ((وَلَّى الشَّبابُ حميدةً أيامُهُ لو كان ذلك يُشترى أو يَرْجِعُ)) الشاعر يطلب حصول أمر مستحيل، وهو اشتراء الشباب أو رجوعه، فهذا أسلوب التمني وأداته (لو).

٤. وقال الشاعر: ((أَسِرْبَ القَطَا هل مَنْ يُعير جناحَهُ لعلِّي إلى مَنْ قد هويتُ أطيرُ)) الشاعر يطلب حصول أمر مستحيل، هو الطيران إلى محبوبه، فهذا أسلوب التمني وأداته (لعل).

٥. وقال تعالى حكاية عن قوم قارون: ﴿يا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارونُ﴾ فهم طلبوا حصولهم على مثل مال قارون، وهو وإن لم يكن مستحيلاً، لكنه مستبعد، فهو أسلوب التمني وأداته (ليت).

تمريـــــــن:

بين ما في الأمثلة الآتية من تَمَنٍّ أو تَرَجٍّ، وبين السر في استعمال ما جاء من الأدوات على غير وضعه الأصلي:

١. واهاً لأيام الصِّبا وزمانِهِ لو كان أسعفَ بالـمُقامِ قليلا

٢. فليتَ هَوَى الأحبةِ كان عدلاً فحمَّلَ كلَّ قلبٍ ما أطاقا

٣. وقال تعالى: ﴿فهل إلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

٤. قال الشاعر يرثي معن بن زائدة:

فليتَ الشامتينَ به فَدَوْهُ وليتَ العُمْرُ مُدَّ له فَطَالا

٥. قال المتنبي في رثاء سيف الدولة:

فليتَ طالعةَ الشمسين غائبةٌ وليتَ غائبةَ الشمسين لم تَغِبِ

٦. قال الشاعر:

علَّ الليالي التي أضنتْ بفِرْقَتنا جسمي ستجمعُني يوماً وتجمعُهُ

٧. قال تعالى على لسان فرعون: ﴿يا هامانُ ابنِ لي صَرْحاً لعلِّي أَبْلُغُ الأسبابَ أسبابَ السماوات﴾.

٨. قال تعالى على لسان أهل النار: ﴿فلو أنَّ لَنَا كَرَّةً فَنكونَ مِنَ المؤمنين﴾.

الحـــــــل:

ت	المعنى المراد	الأداة	البيان
١	التمني	لو	لأن المطلوب هنا لا يُطْمَع في حصوله، وقد استعملت (لو) بدل (ليت) للمبالغة في إظهار بُعد المطلوب
٢	الترجي	ليت	لأن المطلوب هنا ممكن يُطمَع في حصوله
٣	التمني	هل	لأن المطلوب هنا غير ممكن ولا يُطْمَع في حصوله، وقد استعملت (هل)

			بدل (ليت) لإظهار المتمنى في صورة الممكن القريب الحصول لكمال العناية به والشوق إليه
٤	التمني	ليت	لأن المطلوب هنا لا يُطمع في حصوله
٥	التمني	ليت	لأن المطلوب هنا لا يُطمَع في حصوله
٦	الترجي	علَّ [هي لعل حُذفت لامها الأولى]	لأن المطلوب هنا ممكن يُطمع في حصوله
٧	التمني	لعل	لأن المطلوب لا يُطمع في حصوله، وقد استعملت (لعل) بدل (ليت) لإظهار المتمنى في صورة الممكن القريب الحصول
٨	التمني	لو	لأن المطلوب غير ممكن الحصول، وقد استعملت (لو) موضع (ليت) للمبالغة في إظهار بُعد المطلوب

****

النِّـــــــــــداء

معنى النِّداء:

النِّداء هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب الفعل (أَدْعو).

أدوات النداء واستعمالاتها:

أدوات النِّداء ثمانٍ؛ هي: الهمزة، و(أَيْ)، و(يا)، و(آ)، و(آي)، و(أَيا)، (هَيَا)، و(وا). وهذه الأدوات على قسمين:

القسم الأول: لنداء القريب: ويشمل الهمزة و(أَيْ)، مثل: (أيْ بُنَيَّ)، و(أَزيدُ).

القسم الثاني: لنداء البعيد: ويشمل بقية أدوات النِّداء.

استعمال أدوات النِّداء في غير موضعها الأصلي:

سبق أن ذكرنا أن الهمز و(أَيْ) يُنادى بهما القريب، وبقية الأدوات يُنادى بها البعيد، ولكن قد يُنَـزَّل البعيد منزلة القريب فيُنادى بالهمزة أو بـ (أيْ)، وذلك إشارةً إلى قُرْبه من القلب وحضوره في الذهن. وقد يُنَـزَّل القريب منزلة البعيد فيُنادى ببقية أدوات النداء؛ إشارةً إلى عُلُوِّ رُتْبته، أو انحطاط منزلته، أو غفلته وشرود ذهنه. وفيما يأتي أمثلة توضح ذلك:

١. كتب المتنبي إلى الوالي وهو في الاعتقال:

أمالِــكَ رِقِّي ومَنْ شأنُـــهُ هِباتُ اللُّجّيْنِ وعِتْقُ العبيــدْ

دعوتُكَ عند انقطاعِ الرَّجَا ءِ والموتُ منِّي كحبلِ الوريدْ

نرى أن المتنبي هنا ينادي الوالي المعتقل ـ وهو بعيد عنه ـ بأداة النداء الهمزة الموضوعة لنداء القريب (أمالكَ رِقِّي)، وذلك للإشارة إلى أن المنادى وإن كان بعيد المكان فهو قريب من قلبه مستحضَرٌ في ذهنه لا يغيب عن باله فكأنه حاضر معه في مكان واحد.

٢. قال الشاعر: ((يا ربِّ إن عَظُمَتْ ذنوبي كَثْرةً فلَقَدْ عَلِمْتُ بأنَّ عفوَكَ أعظمُ)) هنا الشاعر نادى الربَّ تعالى بأداة النِّداء (يا) وهي موضوعة لنداء البعيد، مع أن الرب سبحانه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وذلك للإشارة إلى عظمة المنادى ـ وهو الرب تعالى ـ وجلالة قَدْره، فنُـزِّل علو درجته وبُعدها في العِظَم منزلة بُعْد المكان والمسافة.

٣. قال الفرزدق يفخر بآبائه ويهجو جريراً:

أولئكَ آبائي فجِئْني بِمِثْلِهِمْ إذا جَمَعَتْنا يا جريرُ الـمَجَامِعُ

هنا نادى الفرزدقُ جريراً بأداة النداء (يا) الموضوعة لنداء البعيد؛ للإشارة إلى انحطاط منزلة جرير [عند الفرزدق] وإلى كونه وضيع الشأن، فنُـزِّل انحطاط الرتبة منزلة بُعْد المسافة في الدُّنُوِّ.

٤. وقال الشاعر: ((أَيا جامعَ الدُّنْيا لغيرِ بَلاغةٍ لـمَنْ تجمعُ الدُّنْيا وأنتَ تموتُ؟))

استعمل الشاعر أداة النداء (أيا) التي تستعمل لنداء البعيد مع أن المنادى قريب؛ للإشارة إلى غفلة المنادى وذهوله كأنه غير حاضر مع المتكلم في مكان واحد.

تمريـــــــــن:

بين أدوات النداء فيما يأتي، مع ذكر ما جرى منها على أصل وضعه في نداء القريب أو البعيد وما خرج عن ذلك مع ذكر السبب:

١. أَبُنَيَّ إنَّ أباكَ كاربُ يومِهِ فإذا دُعيتَ إلى المكارمِ فاعْجَلِ

٢. يا مَنْ يُرَجَّى للشدائد كلِّها يا مَنْ إليه الـمُشتكَى والـمَفْزَعُ

٣. أَيا مَنْ عاشَ في الدُّنْيا طويلاً وأفنى العُمْرَ في قيلٍ وقالِ

هَبِ الدُّنيا تُقادُ إليكَ عَفْواً أليس مصيرُ ذلك للزَّوالِ؟

٤. يا أيُّها القلبُ هل تَنْهاكَ موعظةٌ أو يُحْدِثَنْ لكَ طولُ الدَّهْرِ نِسْيانا

٥. كتب والدٌ إلى وَلَده ينصحه:

أَحُسَيْنُ إنِّي واعظٌ ومؤدِّبُ فافْهَمْ فإنَّ العاقلَ المتأدِّبُ

٦. يا صائدَ الجحفَلِ المرهوبِ جانبُهُ إنَّ الليوث تصيدُ الناسَ أَحدانا

٧. قال تعالى حكاية عن فرعون يخاطب موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا موسى مَسْحوراً﴾.

الحـــــــــل:

ت	أداة النداء	استعمالها	سبب مخالفتها لأصل وضعها
١	الهمزة	لنداء القريب جرياً على الأصل	
٢	يا	لنداء القريب على خلاف الأصل	إشارة إلى علوم مرتبة المنادى وارتفاع شأنه
٣	أيا	لنداء القريب على خلاف الأصل	إشارة إلى غفلة المنادَى
٤	يا	لنداء القريب على خلاف الأصل	إشارة إلى أن المنادى غافل لاهٍ فكأنه غير قريب

٥	الهمزة	لنداء البعيد على خلاف الأصل	إشارة إلى أن المنادى حاضر في الذهن لا يغيب عن البال
٦	يا	لنداء القريب على خلاف الأصل	إشارة إلى علو مرتبة المنادى وارتفاع شأنه
٧	يا	لنداء القريب على خلاف الأصل	إشارة إلى انحطاط رتبة المنادى عند المتكلم

****

القصـــــــــر

تعريف القصر:

القصر هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص. ولتوضيح هذا التعريف نضرب المثال الآتي: نقول مثلاً: ((ما جاءَ الطلابُ إلا زيدٌ)) في هذه الجملة نلاحظ أننا خصصنا المجيء بزيد، بمعنى أن جميع الطلبة غابوا وأن زيداً وحده هو من جاء. فنفينا المجيء عن غير زيد وأثبتناه لزيد، وهذا هو معنى القصر، ونلاحظ أن هذا المعنى أديناه بطريق أو أسلوب النفي والاستثناء، كما هو ظاهر.

والقصر له طرفان، هما: المقصور، والمقصور عليه. ففي المثال السابق قصرنا المجيء على زيد، فالمجيء هو المقصور، وزيد هو المقصور عليه.

طرق القصر:

ذكرنا في تعريف القصر أنه يكون بطريق مخصوص، أي: إن القصر يكون بطرق، وطرق القصر المشهورة أربع، هي:

١. القصر بالنفي والاستثناء: وهنا يكون المقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء، كما في قولنا: ((لا يفوزُ إلا الـمُجِدُّ))، فالمقصور هو الفعل (يفوز) والمقصور عليه هو (المجدُّ).
٢. القصر بـ (إنَّما): وهنا يكون المقصور عليه مؤخراً وجوباً، كما في قولنا: ((إنما الحياةُ تَعَبٌ)) فقصرنا الحياة على التعب، فالحياة مقصور، و(تعب) مقصور عليه.
٣. القصر بالعطف بـ (لا) أو (بَلْ) أو (لكنْ): وهنا إن كان العطف بـ (لا) كان المقصور عليه مقابلاً لما بعدها، كما في قولنا: ((الأرضُ متحرِّكةٌ لا ثابتةٌ)) هنا المقصور هو (الأرض)، والمقصور عليه هو (متحركة)؛ لأن قولنا (متحركة) هو المقابل لما بعد (لا) وهو (ثابتة). وإن كان العطف بـ (بل) أو (لكن) فالمقصور عليه هو ما بعدها، كما في قولنا: ((ما الأرض ثابتةٌ بل متحركةٌ)) و((ما الأرضُ ثابتةٌ لكنْ متحركةٌ)) فالمقصور في الجملتين هو (الأرض) والمقصور عليه فيهما هو (متحركةٌ).
٤. تقديم ما حقه التأخير: فمثلاً المفعول به حقه التأخير عن الفعل والفاعل فإذا قُدِّم كان هذا من أسلوب القصر كما في قوله تعالى: ﴿إياكَ نَعْبدُ﴾ فالضمير (إياك) ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدم على فعله، وهذا أفاد قصر العبادة على الله تعالى، فالمقصور عليه هو المقدَّم.

أقسام القصر باعتبار طرفيه:

ينقسم القصر باعتبار طرفيه على قسمين:

القسم الأول: قصر صفة على موصوف: كما في قولنا: ((ما الشاعر إلا المتنبي)) هنا قصر صفة الشاعر على المتنبي، فهو من قصر الصفة على الموصوف، وكما في قولنا: ((ما جاء زيدٌ بل عَمْرٌو)) فهنا المقصور هو الفعل (جاء) على (عمرو) فهو من قصر الصفة على الموصوف.

القسم الثاني: قصر موصوف على صفة: كما في قولنا: ((ما المتنبي إلا شاعر)) هنا نفينا عن المتنبي جميع الصفات وأثبتنا له صفة واحدة هي الشعر، فالمقصور هو المتنبي والمقصور عليه هو (شاعر)، فهو من قصر الموصوف على الصفة.

وفيما يأتي أمثلة توضح أقسام القصر باعتبار طرفيه:

١. لا يفوز إلا المجدُّ: قصر صفة على موصوف؛ لأن الفعل (يفوز) صفة و(المجدّ) موصوف.
٢. إنما الحياة تعب: قصر موصوف على صفة؛ لأن (الحياة) موصوف و(تعب) صفة.
٣. الأرض متحركة لا ثابتة: قصر موصوف على صفة؛ لأن الأرض موصوف و(متحركة) صفة.
٤. ما الأرض ثابتة بل متحركة: قصر موصوف على صفة؛ لأن الأرض موصوف و(متحركة) صفة.
٥. ما الأرض ثابتة لكن متحركة: قصر موصوف على صفة؛ لأن الأرض موصوف و(متحركة) صفة.
٦. على الرجال العاملين نُثْني: قصر صفة على موصوف؛ لأن (الرجال العاملين) موصوف و(نُثني) صفة.

أقسام القصر باعتبار الحقيقة والواقع:

ينقسم القصر باعتبار الحقيقة والواقع على قسمين:

القسم الأول: قصر حقيقي: وهو أن يختصَّ المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بأن لا يتعدَّاه إلى غيره أصلاً، والقصر الحقيقي يكثر في قصر الصفة على الموصوف ولا يكاد يوجد في قصر الموصوف على الصفة، كما في قولنا: ((لا يروي مِصْرَ من الأنهار إلا النِّيل)) في هذه الجملة قصر الفعل (يروي) على (النيل) وهو من قصر الصفة على الموصوف، وهذا القصر مطابق للواقع كما هو معروف، فالقصر حقيقي. وكما في قولنا: ((إنَّما الرَّازقُ اللهُ)) وهو من قصر الصفة على الموصوف، وهو قصر حقيقي فلا رازق في الحقيقة إلا الله تعالى.

القسم الثاني: قصر إضافي: وهو ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معيَّن. كما في قولنا: ((لا جواد إلا عليٌّ)) فهذا من قصر الصفة على الموصوف، وهو قصر إضافي؛ لأنه يوجد في الواقع جواد غير علي، والمقصود بالجملة هو قصر الجود على علي بالمقارنة مع شخص معين يعرفه المتكلم والمخاطب، فالمقصود نفي الجود عن ذلك الشخص وإثباته لعليّ. ومثله قولنا: ((إنَّما حَسَنٌ شُجاعٌ)) وهو من قصر الموصوف على الصفة، وقصر إضافي؛ لأن حسناً له صفات أخرى غير الشجاعة.

تمريـــــــــن:

بين نوع القصر باعتبار طرفيه وباعتبار الحقيقة فيما يأتي وعين المقصور والمقصور عليه:

١. قال تعالى: ﴿إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ﴾.
٢. قال تعالى: ﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.
٣. قال الشاعر: وما المرءُ إلا كالهلال وضوئِهِ يوافي تمامَ الشهرِ ثم يَغيبُ
٤. أموالُهُ في رقاب الناسِ من مِنَنٍ لا في الخزائنِ من عينٍ ومن نَشَبِ
٥. وما عَجِبْنا وإنْ أصبحتْ تُعجِبُنا أن نجتني ذهباً من موضع الذهبِ
لكن عَجِبْنا لِعُرْفٍ لا نكافئُـــهُ ونَسْتَزيدُكَ منه أكثرَ العجـــــبِ
٦. إلى الله أشكو لا إلى الناسِ أنَّني أرى الأرضَ تبقى والأخِلَّاءُ تذهبُ
٧. قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعينُ﴾.

ت	نوع القصر باعتبار طرفيه	نوع القصر باعتبار الحقيقة	طريق القصر	المقصور	المقصور عليه
١	صفة على موصوف	حقيقي	إنما	يخشى الله	العلماء
٢	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء	محمد	رسول
٣	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء	المرء	كونه كالهلال
٤	موصوف على صفة	إضافي	العطف بـ(لا)	أمواله	كونها في رقاب الناس
٥	صفة على موصوف	إضافي	العطف بـ(لكن)	عجبنا	لعرف لا نكافئه
٦	صفة على موصوف	إضافي	تقديم الجار والمجرور	أشكو	لفظ الجلالة
٧	صفة على موصوف	حقيقي	تقديم المفعول به	نعبد	إياك
	صفة على موصوف	حقيقي	تقديم المفعول به	نستعين	إياك

الوصل والفصل

تعريف الوصل والفصل:

الوصل هو عَطْف جملة على أخرى بحرف الواو، والفصل هو تَرْكُ هذا العطف.

مواضع الفصل:

يجب الفصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع، هي:

أولاً: أن يكون بين الجملتين اتحاد تامٌّ: وذلك بأن تكون الجملة الأولى توكيداً للجملة الأولى، أو بياناً لها، أو بدلاً منها، ويقال حينئذ: إن بين الجملتين **كمال الاتصال**.

ثانياً: أن يكون بين الجملتين تباين تامٌّ: وذلك بأن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً، أو بأن لا تكون بينهما مناسبة ما، ويقال حينئذ: إن بين الجملتين **كمال الانقطاع**.

ثالثاً: أن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال يُفهم من الأولى، ويقال حينئذ: إن بين الجملتين **شبه كمال الاتصال**.

وفيما يأتي أمثلة توضح مواضع الفصل:

١. قال المتنبي: وما الدهر إلا من رواةِ قصائـــدي إذا قلتُ شعراً أصبح الدهرُ مُنْشِدا
في هذا البيت فُصلت الجملة الثانية (إذا قلتُ شعراً أصبح الدهر منشدا) عن الجملة الأولى (وما الدهر إلا من رواة قصائدي)؛ وذلك لأن الجملة الثانية توكيد للأولى فمعناهما واحد، فبين الجملتين **كمال الاتصال**.

٢. قال المعري: الناس للناس من بَدْوٍ وحاضرةٍ بعضٌ لبعضٍ وإن لم يشعروا خَدَمُ
في هذا البيت فُصلت الجملة الثانية (بعضٌ لبعض وإن لم يشعروا خدم) عن الجملة الأولى (الناس للناس من بدو وحاضرة)؛ وذلك لأن الجملة الثانية إيضاحٌ وبيانٌ للجملة الأولى، فبين الجملتين **كمال الاتصال**.

٣. قال تعالى: ﴿يدبر الأمر يفصِّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾.

في هذه الآية فُصلت الجملة الثانية (يفصل الآيات) عن الجملة الأولى (يدبر الأمر)؛ لأن الجملة الثانية جزء من الجملة الأولى، فتفصيل الآيات جزء من تدبير الأمر، وتُعرب الجملة الثانية بدلاً من الجملة الأولى، فبين الجملتين **كمال الاتصال**.

٤. قال أبو العتاهية: يا صاحبَ الدنيا الـمُـحِبَّ لها أنتَ الـــذي لا ينقضي تَعَبُـــهْ

في هذا البيت فُصلت الجملة الثانية (أنت الذي لا ينقضي تعبه) عن الجملة الأولى (يا صاحب الدنيا المحب لها)؛ لاختلافهما خبراً وإنشاءً، فالجملة الأولى (يا صاحب الدنيا) إنشائية والثانية (أنت الذي لا ينقضي تعبه) خبرية، فبين الجملتين **كمال الانقطاع**.

٥. قال شاعرٌ: وإنما المرءُ بأصغَرَيْـــــــه كلُّ امرئٍ رَهْنٌ بما لديـــــــهِ

في هذا البيت فُصلت الجملة الثانية (كل امرئ رهن بما لديه) عن الجملة الأولى (إنما المرء بأصغريه)؛ لأنه لا مناسبة بينهما، فلا يوجد رابط بين معنيي الجملتين، فبينهما **كمال الانقطاع**.

٦. قال أبو تمام: ليس الحجابُ بـمُقْصٍ عنكَ لي أَمَلاً إن السماءَ تُرَجَّى حين تَحتَجِبُ

في هذا البيت فُصلت الجملة الثانية (إن السماء ترجى حين تحتجب) عن الجملة الأولى (ليس الحجاب بمقص عنك لي أملاً)، وذلك لأن الجملة الأولى تثير تساؤلاً لدى السامع (كيف يمكن أن يرجو الشاعر من الممدوح خيراً مع وجود حجاب بينهما؟) فجاءت الجملة الثانية إجابةً عن هذا التساؤل، فلذلك فُصل بينهما؛ لأن بينهما **شبه كمال الاتصال**.

مواضع الوصل:

يجب الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع، هي:

أولاً: إذا قُصد إشراكهما في الحكم الإعرابي.

ثانياً: إذا اتفقا خبراً أو إنشاءً، وكانت بينهما مناسبة تامة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما.

ثالثاً: إذا اختلفت الجملتان خبراً وإنشاءً وأوهمَ الفصل خلافَ المقصود.

وفيما يأتي أمثلة توضح ذلك:

١. وحُبُّ العيشِ أَعْبَدَ كلَّ حرٍّ وعلَّمَ ساغباً أكْلَ الـمُرار[١٨]

(١٨) الساغب: الجائع، والمرار: شجر مر، ومعنى البيت: إن حب الحياة يجعل الحر عبداً ويضطر الإنسان إلى احتمال الأذى.

الجملة الثانية (وعلم سابغاً..) عُطفت على الجملة الأولى (أعبَدَ كل حرٍّ) بحرف العطف الواو، وسبب هذا العطف أن الشاعر أراد إشراك الثانية في الحكم الإعرابي للجملة الأولى (خبر للمبتدأ الذي قبلها الذي هو [حبُّ العيش]).

٢. وللسِّرِّ مني موضعٌ لا يناله ... نديمٌ ولا يُفضي إليه شرابُ[١٩]

الجملة الثانية (لا يفضي إليه شراب) عُطفت على الجملة الأولى (لا يناله نديم) بحرف العطف الواو، وذلك لأن الشاعر أراد أن يشرك الثاني في الحكم الإعرابي للجملة الأولى (وهو صفة للنكرة التي قبلها [موضعٌ]).

٣. يشمِّرُ لِلُجٍّ عن ساقـــــهِ ... ويغمره الموجُ في الساحـــــلِ[٢٠]

في البيت عُطفت الجملة الثانية (ويغمره الموج في الساحل) على الجملة الأولى (يشمر للج عن ساقه) بحرف العطف الواو؛ وذلك لأنهما جملتان خبريتان متناسبتان في المعنى [أي: بينهما علاقة تربط بينهما، وهذه العلاقة قد تكون التماثل وقد تكون التضاد]، ولا يوجد سبب للفصل بين الجملتين.

٤. وأَدْنِ إلى القربى المقربَ نفسَهُ ... ولا تُشْهِدِ الشورى امرأً غيرَ كاتمِ[٢١]

الجملة الثانية (ولا تُشْهِد...) عُطفت على الجملة الأولى (أَدْنِ...) بحرف العطف الواو، وذلك لأن الجملتين متحدتان في كون كل منهما إنشائية وهما متناسبتان في المعنى ولا يوجد ما يقتضي الفصل بين الجملتين.

٥. لا وبارَكَ الله فيك. (هذه الجملة نجيب بها لمن قال لنا: هل لك حاجة أساعدك في قضائها؟).

في قولنا (لا وبارك الله فيك) جملتنا: الأولى ((لا)) وهذا الحرف يقوم مقام جملة خبرية، والمقصود (لا حاجة لي)، وقد عُطفت عليها جملة (بارك الله فيك) جملة إنشائية المقصود منها الدعاء، وعلى هذا يكون بين الجملتين كمال الانقطاع، ولكن وصلت الجملتان لأننا لو فصلنا بينهما لأصبحت الجملة (لا بارك الله فيك) وهي جملة توهم أننا ندعو على السامع في حين أننا نقصد أن ندعو له.

٦. لا ولطَفَ الله به. (هذه الجملة نجيب بها من قال: هل تعافى أخوك من عِلَّته؟).

---

(١٩) النديم: الجليس، ويفضي: ينتهي، ومعنى البيت: إنه كتوم للسر يضعه حيث لا يطلع عليه النديم ولا يكشف عنه الشراب الذي يسكر.

(٢٠) اللجم: معظم الماء، والبيت مثل يضرب لمن تحدثه أطماعه بإدراك المطالب العظيمة وهو يعجز عن اليسيرة.

(٢١) أي: قَرِّب من يتقرب إليك بعقله وكماله، ولا تستشر أمام من لا يكتم الأسرار.

قولنا هذا يتضمن جملتين: (لا) أي: لا لم يتعافَ أخي من علته فهي جملة خبرية، والجملة الثانية (لطف الله به) جملة إنشائية المقصود منها الدعاء للأخ بأن يلطف الله به. فالجملتان اختلفتا خبراً وإنشاءً فبينهما كمال الانقطاع ولكن وُصل بينهما لأننا لو فصلنا بينهما لأصبحت الجملة (لا لطف الله به) وهي جملة توهم أننا ندعو على الأخ، وهو خلاف المقصود.

تمريـــــــــن:

بين مواضع الوصل والفصل فيما يأتي مع بيان السبب:

١. قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾.

فُصل بين الجملتين: جملة (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) وجملة (لا يؤمنون)؛ لأن بينهما كمال الاتصال، إذ الجملة الثانية توكيد للجملة الأولى.

٢. قال تعالى: ﴿وأوجَسَ منهم خِيفةً قالوا لا تَـخَفْ﴾.

فُصلت جملة (قالوا لا تخف) عن جملة (فأوجس منهم خيفة)؛ لأن بينهما شبه كمال الاتصال؛ لأن الجملة الثانية جواب لسؤال يُفهم من الأولى؛ كأن سائلاً يسأل لما سمع الجملة الأولى: فماذا قالوا له حين رأوه خافَ؟ فأجيب (قالوا لا تخف).

٣. قال تعالى: ﴿أمدَّكم بما تعلمون أمدَّكم بأنعام وبنين وجناتٍ وعيونٍ﴾.

فصلت جملة (أمدكم بأنعام..) عن جملة (أمدكم بما تعلمون)؛ لأن بينهما كمال الاتصال؛ إذ الجملة الثانية بدل من الأولى.

٤. قال تعالى: ﴿يسومونكم سوءَ العذاب يُذَبِّحون أبناءَكم﴾.

فُصلت الجملة الثانية (يذبحون..) عن الجملة الأولى (يسومونكم سوء العذاب)؛ لأن بينهما كمال الاتصال؛ إذ الثانية بدل من الجملة الأولى.

٥. قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحيٌّ يوحى﴾.

فصلت جملة (إن هو إلا وحي يوحى) عن جملة (ما ينطق عن الهوى)؛ لأن بينهما كمال الاتصال؛ فإن الجملة الثانية بيان للجملة الأولى.

٦. لا وكُفيتَ شرَّها (نقولها لمن قال لنا: أَذَهَبتِ الحمَّى عن المريض؟).

جملة (كفيت شرها) وُصلت بجملة (لا) مع اختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً؛ لأننا لو فصلناهما لصارت (لا كفيت شرها) وهي توهم المسامع أننا ندعو عليه، في حين أننا ندعو له.

٧. قال الشاعر يشكو الناس: يَصُدُّون في البأساءِ من غير علةٍ ويمتثلون الأمر والنهي في الخفض

وصل الشاعر بين جملتي (يصدون...) و(يمثلون..)، وذلك لأنهما اتفقتا في الخبرية وبينهما مناسبة تامة وليس هناك ما يقتضي الفصل.

****

الذكر والحذف

إذا أريد إفادة السامع حكماً معيناً، فأيُّ لفظ يدل على معنى في هذا الحكم فالأصل ذكره، وأي لفظ عُلم من الكلام فالأصل حذفه، ولكن قد يُحذف ما ينبغي ذكره أو يُذكر ما ينبغي حذفه لأسباب، وفيما يأتي بيان ذلك:

أسباب الذكر:

١. **زيادة التقرير والإيضاح**: أي: زيادة تثبيت المعلومة في ذهن السامع وزيادة الكشف والبيان لديه، وقد تكون المعلومة ثابتة في ذهن السامع وإن لم تُذكر ولكن ذكرها زيادة تثبيت لاجتماع الدلالة العقلية واللفظية، كما في قوله تعالى: ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ ففي ذكر (أولئك) الثاني زيادة تقرير وإيضاح.
٢. **قلة الثقة بالقرينة**: فقد تدل قرينة ما على شيء، ولكن المتكلم لا يحذفه بل يذكره إما لضعف القرينة الدالة عليه أو لضعف فهم السامع، كما لو كنا نتكلم عن زيد ويسبق ذكره فنقول: ((زيدٌ نِعْمَ الصديق)) فنذكر زيداً ولا نحذفه بسبب طول الزمن الذي ذُكر فيه أو ذكر معه كلام في غيره.
٣. **التسجيل على السامع حتى لا يمكنه الإنكار**: أي: كتابة الحكم وتثبيت إقرار السامع بين يدي الحاكم مثلاً، كما إذا قال الحاكم للشاهد: ((هل أقر زيدٌ هذا بأن عليه كذا؟))، فيقول الشاهد: ((نعم، زيد هذا أقر بأن عليه كذا)) فلا يكتفي بقوله مثلاً: ((نعم، أقر بأن عليه كذا)).
٤. **التعجب إذا كان الحكم غريباً**: كما إذا سبق ذكر شخص اسمه (عليّ) مثلاً، فنقول: ((عليٌّ يقاوم الأسد)) ولا نكتفي بقولنا ((يقاوم الأسد)) لإظهار التعجب من الحكم المذكور.
٥. **الرغبة في إطالة الكلام**: كما في قوله تعالى: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى * قال هي عصاي﴾ كان يمكن لسيدنا موسى عليه السلام أن يكتفي بقوله مثلاً: ((عصاي)) ولكنه ذكر الضمير (هي) لرغبته في إطالة الكلام وتلذذه بمخاطبة ربه سبحانه، هذا التلذذ هو الذي دفع موسى عليه السلام إلى أن يذكر ما لم يُسأل عنه فقال: ﴿ أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ﴾.

أسباب الحذف:

١. **إخفاء الأمر عن غير المخاطَب**: نحو قولك: ((أَقْبَلَ)) تريد شخصاً معيناً يعرفه المخاطَب، ولكنه حذفته لأنك تريد أن لا يعلمه غير الشخص الذي تخاطبه.

٢. **التنبيه على تعيين المحذوف**: كما في قوله تعالى: ﴿خالق كل شيء﴾ أي: الله خالق كل شيء، فحُذف لفظ الجلالة للتنبيه على أنه لا خالق إلا الله.

٣. **ضيق المقام**: أي: قد يحذف من الكلام ما يضيق المقام بذكره، وقد يضيق المقام بسبب توجع المتكلم، كما في قول الشاعر: ((قال لي: كيف أنتَ؟ قلتُ: عليلُ...)) فلم يقل: ((أنا عليل)) لضيق المقام بسبب توجع الشاعر. وقد يضيق المقام بسبب خوف فوات فرصة، كما في قول الصياد لصاحبه: ((غزال)) أي: هذه غزال، ولكنه حذف المبتدأ لضيق المقام بسبب خوفه من فوات فرصة صيد الغزال.

٤. **التعميم**: كما في قوله تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ فحذف المفعول به للفعل (يدعو) لقصد تعميم الدعوة، أي: يدعو جميع عباده...

٥. **العلم بالمحذوف**: فقد يُحذف الفاعل للعلم به أو للجهل به، مثل: ﴿خُلق الإنسانُ ضعيفاً﴾ أي: خَلَقَ اللهُ الإنسانَ، فحذف الفاعل للعلم بـه. ونحو قولنا: ((سُرق الـمَـتاعُ)) فحذفنا الفاعل لجهلنا به.

****

التقديم والتأخير

من المعلوم أنه لا يمكن النطق بأجزاء الكلام دفعة واحدة، بل لابد من تقديم بعض الأجزاء وتأخير بعضها الآخر، ولا يوجد من أجزاء الكلام شيء هو أولى بالتقديم لنفسه من غيره من الأجزاء، فلا بد من دواعٍ وأسباب لتقديم الألفاظ أو تأخيرها.

أسباب التقديم والتأخير:

١. **التشويق إلى المتأخر**: وذلك إذا كان المتقدم مُشْعِراً بغرابة، كما في قول الشاعر:

والذي حارت البرية فيه حَيَوانٌ مستحدَثٌ من جمادِ

٢. **تعجيل المسرة أو المساءة**: نحو قولهم: ((العفو عنك صدر به الأمر)) فلم يقولوا مثلاً: ((صدر الأمر بالعفو عنك)) لتعجيل المسرة، ونحو قولهم: ((القصاص حكم به القاضي)) فقدم القصاص لتعجيل المساءة.

٣. **شرف المقدَّم وعلو رتبته**: كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ فقدم الله ثم ذُكر رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ذُكر أولو الأمر.

٤. **تقديم الكثير على ما دونه**: كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم...﴾ فقدم الأزواج على الأولاد؛ لأن العداوة في الأزواج أكثر منها في الأولاد.

٥. **تقديم السبب على النتيجة**: كما في قوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ فقدمت التوبة على الطهارة؛ لأن التوبة تؤدي إلى الطهارة.